محمد حياه
استشارة في البَلاه
سلسلة عازف البيانولا ١
روايات أسطورية.. تتجنب الواقع

سلسلة
عازف البيانولا (١)

رواياتٌ أُسطورية .. تتجنبُ الواقع

للكاتب
محمد حياه

إهـــداء

أُهدي تلك الروايـةَ إلى العقولِ التي تعاونت معي في تشـكيلِ عقلي الأدبي.. أُهديها إلى الأقلامِ التي رسـمَتْ معي خُطواتي من الهوايـةِ إلى الاحتراف.. أعلمُ أن الطريقَ أمامي ما زالَ طويلًا.. ولكن كانَ يجبُ توثيق تلكَ الأعمالِ بعد معالجتِها حتى تليقَ بقارئِ اليوم، وهذا لا يقلّلُ ممـا فعلوه معي، لكنّي أردتُ أن أثقِلَـهُ وأغلِّفـهُ بغلافٍ يليقُ بمجهودِهِم معي ..

أتمنّى أن تكونوا نقّـادي اللاذعينَ في الفترةِ القـادمـةِ فأنا أحتاجُ إليْكُم

أشكرُكُم إخواني وأصدقائي وأساتذتي
أحمـد حسـن
إسـلام موسـى
محـي أحمـد
محمد محمود
محمد منصـور

أخوكم/ محمد حياه

المقدمة العامة

خلقَ اللهُ الكونَ يُكملُ بعضــه بعضًــا، على الرغمِ من اختلاف خصائصه، وله في ذلك حكمة، فلا يسودُ شيءٌ على شــيء، ولا يصــلُ شــيءٌ إلى الكمال، فتجدُ الجنةَ والنار.. الشــتاءَ والصــيف.. الخريفَ والربيع.. الرجلَ والمرأة.. النهارَ والليل.. فلا يصــلُحُ الكونُ بجزءٍ واحدٍ فقط، بـل يجـبُ أن يوجـدَ الجزءُ الآخر حتى يحـدثَ التوازنُ الكونـيّ، كـذلـك الحزنُ والســعـادة.. يجـبُ أن يوجدَ الحزنُ حتى تشعرَ بالسعادة.

وذلـك الـذي بين يـدك -عزيزي القـارئ- أقربُ مثـالٍ لذلك، فكُنْ من المُستمتعين بروايـاتِ البيانولّا.

الراوي: عازف البيانولّا

الأسطورةُ الأولى

استشـــارة في البَـــلالاه

"الأسطورة الساخرة"

رواية بالعامية المصرية

الحلمُ هو الشيءُ الذي تتمنى تحقيقه.. والوهمُ هو الشيءُ الذي تؤمنُ بصعوبةِ تحقيقه.. والكابوسُ هو الواقعُ الذي يجبُ تصديقُه.. وما الدنيا إلا حلمٌ ووهمٌ... وشوية كوابيس فوق بعض

الشاعر البوهيمي

الشمسُ تُغازِل بأشعتِها على جبينِ كل من سلّمَ أمره لله وبدأ يومَه للذهاب لعملِه وأداءِ فريضةِ التلاحم والتزاحم بين خلق الله بعضهم بعضًا، فالكل أصيبَ بالعمى لا يرى إلا سبيله فقط، ورغم ذلك تسمعُ إبداعَ عود القصبجي خلف الست أم الكلثوم يأتي من نافذة رجلٍ مُسنٍ يستمتعُ بقراءةِ الجريدةِ المسائية ليوم أمس على تلك الأنغام، يداعبُ خصلاتِ شعرهِ البيضاء نسيمٌ عابرٌ خفيف، لكنه نسيمٌ رمادي اللونِ من أثر الأتربة المنبعثة من نافذة جارتِه في الطابقِ الأعلى، وهي تقومُ بعملِ تهذيبٍ وإصلاحٍ لإحدى سجاجيد شقتها بأشرس حالات السادية، مُمسكةً بـ"المِنفضة"، تلك الأداةُ التي غفلَ الأمير فلاد دراكولا عن استخدامِها في تعذيبِ أسرى جيشِ السلطان محمد الفاتح، تمسكها تلك السيدةُ فتعزفُ بها عزفًا إيقاعيًا منفردًا تنسجمُ له أُذناها، تلك الأذنُ التي لا تُترجِمُ استغاثات جارِها المسنّ بعد أن أفسدت صاحبتُها حالتَهُ المزاجيةِ في أثناءِ جلستِه الصباحية.

ووسط تلك السيموفنية يظهرُ صوتٌ في خلفية الأحداث، صوتٌ هادئٌ جميل لألة موسيقية تعزفُ نغمةً استثنائية، جذبت كلَّ من سمعَها ليتلفتَ باحثًا عن

مصدرها، ثم يظهرُ من بعيد رجلٌ يشارف على الستين من عمره بالكادِ يستطيعُ أن يقفَ على قدميه، يظهرُ بملبسِهِ القديم الغريب، يلبس بنطالًا أزرقًا من الجينز وقميصًا سبعيني المنظر ذو ياقةٍ كبيرة، مُخططًا بخطوطٍ عرضيةٍ وعليه سُترةُ عازفي الأوركسترا ذات الذيل الطويل.
الرجلُ يبتسمُ لكلِّ من حوله متمايلًا على أنغامِ ذلك الصندوقِ الأسودِ الكبير الذي بجانبه، المُميزِ بنقوشٍ وجهِ طفلٍ مبتسمٍ وعيناه تلمعان من أثر دموعٍ يختلطُ فيها الفرحُ بالحزن، ثم تخطفُكَ يدُ الرجلِ وهو يديرُ ذلك المقبض الدائري الذي يبعثُ مزيدًا من الأنغام الرشيقة المبهجة، التفّ حولهُ الناسُ منقسمين بين مبتسمٍ سعيدٍ بما يسمع، وبين شاحبٍ يبحثُ بداخلِهِ عن ابتسامةٍ مزيفةٍ فلا يجدُها، ثم توقفَ الرجلُ عن إدارةِ المقبض فتوقفت معه الموسيقى وعم الصمت بين الناس، فإذا به ينظر في أعينهم ثم يقول:
"يسعد صباحك يا اللي ابتديت يومك بالحمد .. دا الحمد حروف بسيطة همك قدامها يتهد .. صباحك في كلمة .. صباحك في نعمة .. صباح خير عملته ونسيته .. وجاي يترد .. وعجبي، قولوا الحمد لله".

ردد الجميع وعلى وجوههم ابتسامة الرضا:

- الحمدلله

فأكمل حديثه قائلاً:
- أنا اســمي راوي هيثم رغاّي، شــغلتي حكّاي على باب الله، واللي على باب الله يسـعى، وأنا مش جاي أبيع الهوا يـاللي مســتغرب منظري، أنـا ححكي حكايتي وأمشـي ولا عايز منّك قرش ولا منِّك لُقمة، اسرح بخيالك معايا خلي خيالك هو صـندوق الدنيا، أدخل جواه واتفرج على حكاياتي وانت بتسمع أنغام البيانولّا، حتفرق كتير صـدقني، ويارب منها تستفيد وتفيد، خلاص مستعدين، قولوا أيوا.

رد عليه الجميع:
- أيوا
- تمـام وقبـل مـا نبتـدي الكلام ممكن نعمـل موبيلاتنـا سيلنت.

نفّذَ الجميعُ طلبهُ بعد دهشـــةٍ واســـتغراب، بدأ الرجل تحريكَ مِقبضِ البيانولّا لتكون خلفيةً موسيقيةً لحديثهِ ثم بدأ في قَصّ حكايته، فقال:
- "بعد السلامِ والصلاةِ على سيدِ الأنبياء، نبدأُ حكايتَنا من نـهـايتها، نعم نهايتها فلا تتعجبوا، ونهايةُ الحكايةِ كانت قبلَ أذانِ الفجرِ بنصـفِ سـاعة عندما اسـتيقظَ

عمّ تواب المُفترشِ الرصيفِ منذ عقودٍ لا يتذكر كم عددها، استيقظ مفزوعًا من نباح الكلابِ حوله، أنيابٌ ترسمُ غضبًا ونهايةٌ محتومةٌ يسيلُ منها اللّعابُ مُشمئزًا مما رآه داخلَ هذا الفك، وكأن الكلابَ تعني بنباحها أن تقولَ له: "ابعد عن هذا المكان المقزز، هذا الرصيفُ وصناديقُ القمامةِ المتهالكةِ أصبحت من الآن ملكًا لنا، لملم عم تواب المسكين بقايا معطفِه المحروق، والذي يستخدمُه كغطاءٍ في هذا البردِ القارسِ، ويمدُّ يدهُ وعيناهُ ترتجفان من جحوظهما الشديد، وبينما هو خائف من لُهاث الكلاب من حوله، استطاعت يدهُ أن تمسكَ ببقايا عشائِهِ الباقي معه منذ أمس، قطعتينِ من الخبزِ المتعفّنِ وحقيبةٍ بلاستيكيةٍ يجمعُ فيها ما لا يعلمه ولا يفهمه أحدٌ غيره، وآخرُ شيءٍ يملكُه هو بعض الكتبُ التي يستخدمها كوسادةٍ له، لكنه يحتضن أحد هذه الكتب دائمًا لا يفارقُ يده، ويبدو أن هذا الكتاب له قميةٌ خاصةٌ لديه عن باقي الكتب.

استجمع قواه المتهالكة وقام وهو منحنٍ يُظهِرُ علاماتِ الاحترامِ والخوف لقطيع الكلاب الذي أصبح يتزايد ويقترب كل دقيقة، ظلَّ يتحركُ للخلفِ ناظرًا لهم لا يريد أن يعطيَهم ظهرهُ، إذ لا أمانَ لشيء في هذا العالم حتى لأوفى حيوان، هذا ما تعلّمه عم تواب من التشرد

المفروض عليه منذ زمن ليس بالقليل، وعندما ابتعد عن القطيع وجدَ كلبًا من الكلابِ ظنَّ أنه كبيرُهم، ثم اتضح له بالفعل من حركاته وإشاراته لهم إنه قائدهم، فهو يتقدمُهُم وحدهُ في اتجاه صندوق القمامة دون أن يتبعُه أي كلبٍ من القطيع، مما جعل عم تواب يراقبُ ما يحدثُ بفضولٍ مُفرط، حتى وجدَ الكلبَ يقفُ فوقَ كومةٍ معينة، ويغرس أنيابهُ بها فيجذب شيئًا ويحركه يمينًا ويسارًا يحاول أن يقطعَ شيئًا من جذوره، وظل الكلب القائد ينهشُ بعنفٍ حتى ظهر من القمامةِ شيءٌ بين أنيابه، اقتربَ منه عم تواب بخطواتٍ يملؤها الخوف وشدة الفضول، وكلما اقترب زاد فزعُه وتسارعتْ ضرباتُ قلبِه.

التقطَ الكلبُ بأنيابِهِ بأنيابِهِ يدًا بشـــريةً لجثةٍ بين أكوام القمامة، هُنا وضـــعَ عم تواب يدهُ على فمه محاولًا منعَ الصُّـــراخ داخله، ظلَّ الكلبُ "القائد" يجرُّ الجثةَ التي بدأتْ تظهرُ شيئًا فشيئاً، وإذا بها جثة شابٍ في الثلاثينَ من عُمره بجســـدهِ العاري الذي تلوَّن بكدماتٍ وجروحٍ متفرقةٍ ومتنوعة العمق والمســـاحة، أخذَ الكلبُ يعوي للقطيع لينقضُّـــوا معهُ على الفريســـة، ما أبشـــعه من منظر، أنيابٌ تنهشُ في حماسٍ وسـخونةٍ ونهم، وجسـدٌ باردٌ مستسلمٌ في خضوع ذليل، لكن عم توّاب لم يستطعْ

أن يمنعَ صـرخته بداخله وذلك بعدما وجدَ باقي القطيع يكشِـفُ في نفسِ كومـة القمـامـة عن جثتينِ أُخريين لشـابين عاريين، ظلت الكلابُ تعوي على فريسـتها عواءً لم يعلُ على صراخِ عم تواب ودموعه المنهمرة"

ولكي تعلموا سر هذا المصيرِ البشع، دعوني أرجعُ بكم إلى ما قبل هذا الحادثِ بثلاثين يومًا، ولكن من منزلٍ في حي المُدرسين، عند دخولك إلى هذا المنزل تعلم أن من يسكنهُ يرفع شعار "القذارةُ من السُكّان"، أعقابُ السجائرِ لايخلو منها مكان في الأرض، الملابس تسكنُ الأركان، أكوامها القذرة تتسلقُ الجدار وكأنها تنمو كزرعٍ خبيث، بقايا الأكلِ الذي أعلن انتهاء صلاحيتِهِ منذ سنَوات، تأخُذُ نَفسَك بصعوبة وكأنك داخل مقبرةٍ لم تُفتحْ منذ عقود. أصحاب هذا العمل الحاصلين على جائزة "أونكس" للقذارة هم كريم وهشام وعلّام. مسرح الجريمة هذا يملكه كريم، توُفّيَ ووالداه وتركا له من الميراث ما يكفيه ليبني به مستقبله، لكن شراهته للطعام تأبى على الميراث أن يفعل، فهو من أنصار حكمة الشاعر البوهيمي القائل: "وما نيل المطالب بالتمني.. ولكن تكفي أن تطلب الشاورما"، يعشقُ السياسة، ولطالما حلمَ بأن يكون كادرًا قياديًا في أحد الأحزاب بعد الثورة، ولكن حال الأحزاب حينئذ لم يتعدَّ أن يكون

مركزًا من مراكز الشـــباب الريفيـة والتي تســـتقبل اللاعبين تحت سن ٨٨.

يعيش مع كريم صـــديقا طفولته هشـــام وعلّام، يعمل الأولُ دكتور تحاليل في أحد معامل المســـتشـــفيات الحكومية، ويعمل الثاني محاسبًا بإدارة استاد القاهرة.
كان كريم يستمتع بنومه على أريكة الصـالون ممسـكًا ببقايا قطعة بيتزا، وباقي جسـده على وضـعيةِ "روز" في فيلم تايتانك (مشـهد رسـم لوحتها)، لا تعرف كيف وصـلَ جسـدٌ بهذا الحجم إلى تلك الوضـعية، وقع من على الكنبة مفزوعًا بعد صراخة علّام وهو يقول:
- لقيتها خلاص .. لاقيتها.

يرد عليه كريم بعد أن انقض عليه وأمسك برقبته قائلاً:
- وأنـا برضـــه لاقيتهـا، الفرخـة اللي حكلها النهاردة، عشان تبقي تفجعني تاني وانت بتصحيني.

يدخل عليهم هشام وهو منزعج ويوبخهم:
- دي مش طريقة بنأدمين عايشين بجد، حد يعمل اللي بتعملوه ده، حرام عليكم.
- والله أنـا زيي زيـك يـا هشـــام، الغبي دا هو اللي فجعني، بجد مش طريقة هزار دي يا علّام.

يفلت علّام من قبضة كريم محاولًا أن يعبّرَ لهم عن سبب هذا الانفعال الزائد:
- يا جماعة انتوا لو تعرفوا سبب هبلي دا حتعذروني، حاجة عمركم ما حتصدقوها أبداً.

يدخل علّام متقدمًا كريم وهشام بخطواتٍ ناحيةِ غرفتِهِ التي ينام فيها، ولكن بعد أن قدّمَ عرضًا منفردًا لباليه "بحيرة البجع" حتى يستطيع عبورَ أكوامِ القمامة والملابسِ التي تنبتُ من أرضيةِ الغرفة ليصلَ إلى حاسبه المحمول، وتبعه بنفس الطريقة هشام، بينما استخدم كريم أسلوبًا آخر ليعبرَ تلك الأكوام وهي طريقة "هرس البطاطس"، كانت قدمه تنغرس في تلك الأكوام وكأنه يعبر بِركةً موحلةً عميقةً في أرض زراعية.

جلس علّام على الأريكة وحوله هشام وكريم، ينظران لشاشة حاسبه المحمول منتظرينَ أن يعرفا سببَ كل مافعلهُ علّامُ بهم، لكن صبر كريم على الانتظار قد نفد، وإذا به يرفع يده ثم ينزلها على رأس علّام وهو يقول:
- لقد نفذ رصـــيد صـــبري عليك، إيـه اللي لاقيتـه وصدعتنا بسببه؟

رفع علّام رأسه من على حاسبه المحمول بعد أن ارتطم أنفُهُ بلوحة المفاتيح وكأنه دجاجةٌ تأكلُ من قمحِ الأرض، أمسكَ بأنفِهِ ناظرًا إلى كريم المبتسم وقال:

- أنا مش عايز أمد إيدي.

فردّ له كريم النظرة بغضبٍ فوجد علّام يُلحِقه بالقول:

- أنت حتصدق شوية هرمونات جراءة تافهة سيطرت عليا لمدة فمتوثانية، أنت أكبر من كده.

استغربه كريم، فانفجر الاثنان ضحكاً، حتى قاطعهما هشام وهو يقول:

- ممكن كفاية هزار لأن دمك تقيل، وتقولنا إيه سبب الدوشة اللي عملتها دي على الصبح يا أستاذ علّام.

ثبتَ علّام على حاسوبه واعتدل في جلسته وبدأ الحديثَ قائلًا:

- في قبيلة بتسكن بالقرب من نهر الأمازون في البرازيل، اسمها "الأمونشاوا" ودول يعتبروا برة خريطة الزمن، حتى في لغتهم مافيش كلمات عن الزمن سواء كان يوم أو شهر أو سنة، بعد وفاة زعيمهم بيسيبوا جثته مكانها، وأول ما يبدأ دود الأرض ياكل فيها، اللي هي بالمعني الصحيح عندنا

بعد حوالي ٤٠ يوم ساعتها بيحرقوه، ويوم وفاته بيعملوا طقوس بشكل معين حوالين تمثال زعيمهم اللي اتعمله أول ما مسك الحكم زمان، الغرض من الطقوس دي إنهم بيقدروا يرجعوا روح زعيمهم في التمثال دا عشان يختار مين يمسك بعده حكم القبيلة، لإن الحاكم مش بيعلن اسم ولي العهد عشان ماتحصلش أي اغتيالات سواء للحاكم من ولي عهده عشان يفوز بالسلطة بشكل أسرع أو من منافس لولي العهد بسبب الغيرة والحقد، لإنهم مقتنعين إنه لو تم الإعلان عن ولي العهد أو إنه يكون إلزام دايمًا الابن الكبير زي ما موجود في أماكن كتير دا بيرفع نسبة اغتيال الحاكم للفوز بالسلطة لصالح ولي العهد المعلن.

أما بالطقوس دي لو تم عملية اغتيال الحاكم فبرجوعه حيعلن عن اسم اللي اغتاله، وبالتالي عمره ما حينول الحكم، وشايفين إن الموت أو "الغادر" زي ما بيسموه بيجي في وقت غير مناسب ولازم الحاكم اللي بترجع روحه في تمثاله يختار اللي حيخلُفُه في الحكم قبل بداية تحلل جثته وانتهاء مدة حياته الثانية، لأن ظهور دود الأرض في جسده دا معناه بطلان التعويذة، ولما يختاره وتنتهي المدة المحددة للتعويذة

يتم حرق جثته وتكسير تمثاله اللي عاد لطبيعته مرة تانية بعد بطلان التعويذة، لتبدأ بداية عهد جديد بحاكم جديد وبتمثال جديد ينتظر استيقاظه يومًا ما.

رد هشـــام وملامحه تعلن التعجب والاســـتغراب مما سمعه:

- أسطورة غريبة بس عايز توصل منها لإيه؟
- بصـــوا يا جماعة كل واحد فينا عايز البلد دي تبقى أحســـن، ودا طبعًا باللي إحنا شـــايفينه تعتبر كلها طموحات وأماني وآخرها حتســـمعها في شـــوية الأغاني، أنا عارف إنكم شايفيني تافه.

رد كريم مازحًا وهو يشير له بكلتا يديه:

- إحنا مش شايفينك تافه .. إحنا مش شايفينك أصلاً.
- هههههههه .. متشـــكر يـا أســـتـاذ كريم على الكومبوليموز بتـاعك .. وبرغم إن مـاحـدش يتوقع مني الكلام دا إلا إني لقيت حل إن البلد دي تبقى أحسن وأقوى دولة في العالم.

ينقضُّ عليه كريم فيمسـكُ رأسَـهُ ويفتحُ فمه مقتربًا منه ويقول:

- تعالى ورِيني شارب إيه على الصبح؟

لكنه ابتعد نافِرًا من رائحة فمه ثم يقول له وهو يســـعل بشدة:

- انت دافن إيه جوه؟ أصـــل دي مش ريحة بؤ كائن بشري.

يمسك علّام فمه وهو ينظر لكريم بنظرة تعالي وغرور قائلًا:

- ريحة بوئي؟! .. أنت تعرف تاكل اللي أنا واكله أصلًا!!
- واكل إيه؟ .. جيفة؟
- لا واكل ســـاندوتش عِجة بالبولوبيف والبتنجان، الساندوتش دا حصري عند سلطان الطلب، الرغيف الحريف، حكمدار الفول، مطعم عبده كعبول، وزي ما قال شاعرك البوهيمي " عشق الفول مالوش أخر .. لكن لو عليه بتنجان كلام تاني".

يقوم هشام من جلسته غاضبًا وهو يقول:

- شكلكم فايقين وطالبة معاكوا هزار

يمسك علّام يد هشام ويجذبه ليجلس مرة أخرى.

- أقعد يا دكتور هشام .. والله الموضوع جد

وهنا أمسكَ علّام حاسبهُ المحمول وضغطَ على ملفٍ ما لتبدأ أغنيةٌ غربيةٌ بصوتِ حاد لسيدةٍ لهجتها غير مفهومة، تعزفُ حولها ألاتٌ قديمة، وعندما انتهت الأغنيةُ سارعَ علّام بإكمالِ حديثهِ قائلًا:

- فاكرين فيلم فهمي وهشام وشيكو؟ الحرب العالمية الثالثة؟

رد عليه هشام قائلًا:
- آه عارفهم، مالهم دول بكلامك والأسطورة الغريبة دي وحال البلد؟ أنا حاسس إننا داخلين على عك واضح.

يبتسم علّام وهو يقول:
- لا عك ولا حاجة، الفكرة اللي هما اعتمدوا عليها واللي هي أصلًا منحوتة من فيلم " Night of The Museum"، أنا كنت بدور على أصل الفكرة دي في أساطير وقصص كتيرة في كذا دولة سواء كانت حقيقة أو خرافة كنت بدور على أي خيط أمشي وراه، إزاي يبقى في تعويذة تخلي روح متوفي تلبس شيء صامت جامد زي التماثيل ويتحوّل

لشيء شبه حي.

يقفُ كريم منفعلًا كاتمًا غضبهُ ثم يقفُ هشام وهو يقول له:

- أنا كنت حاسس إننا داخلين على عك، وياريته وصل للعك بس، إيه الهبل اللي أنت بتقوله ده؟

ينظر لهما علّام وهو جالسٌ مكانهُ ويقول:

- أنا فعلًا لقيت أصل الأسطورة دي ومعايا التعويذة فعلاً، وهي تعويذة قبيلة "الأمونشاوا" اللي حكيتلكم عليها، حنطبقها على أكتر الشخصيات قيادة وذكاء وحكمة عرفهم التاريخ قدرت تحل أزمات زي اللي احنا فيها، حنعمل تماثيل ليهم ونقرى عليهم التعويذة ونعمل بيهم مجلس إستشاري يفيد حكومتنا، ويحطوا الخطوط العريضة لتحسين حال البلد، وبكده نبقى جربنا تجربة محلية نجحت فعلًا في التنفيذ مش نظريًا بس.

نظرَ له هشام وعلى وجهِهِ ملامحُ عدمِ تصديقِ ما يقولُه:

- إنت ازاي تصدق في الخرافات دي وتقتنع إنها صح أصلاً؟

- إنت بتقول خرافة وكلام فارغ صح! حتخسر حاجة لو جربنا؟

نظر له هشام صامتًا حتى جاوبَهُ علّام قائلًا:
- أكيد لأ، لو التجربة نجحت أدينا قدرنا نوفر أكبر مجلس استشاري صاحب خبرة ونجاحات عرفته مصر على مر التاريخ الحديث، ولو فشلنا يبقى الحال على ماهو عليه وعلى المتضرّر اللجوء إلى السماء، وندعي بقى كلنا ربنا يصلح حال البلد، زي ما احنا بقالنا سنين بندعي.

نظر هشام إلى كريم الذي كان يفكر فيما قاله علّام وسار عدة خطوات ذهابًا وإيابًا في الغرفة و ينظر بين الحين والآخر إلى علّام الذي يتابعه ويتابع كريم قلقًا منتظرًا ردَّهم، حتى قطع كريم هذا الصمت قائلاً:
- أنا موافق على الفكرة المجنونة اللي خارجة من هذا الشيء.

فقفز عليه علّام صارخًا يقول:
- حبيبي يا كيمو، أيوة كده، وأنت يا هشام أكيد معانا بقى؟
- موافق، بس عندي كام سؤال لازم أعرف إجاباتهم

وقفَ علّام على الأريكةِ وهو يقفزُ فرِحًا بموافقةِ هشام أخيرًا وقال:

- أنا تحت أمرك في أي سؤال.
- أولًا الخرافة اللي أنت قولتها مربوطة بعمل تعويذة لتمثال شخص لسه متوفي عشان ترجع روحه في كيان ثابت اللي هو تمثال وتعيش لحد ما الجسد ما يبدأ في التحلل بعد ٤٠ يوم.. صح؟
- صح

فأكمل هشام سؤاله والشك يملأ عينيه:

- يبقى إزاي حنستفاد منها أصلًا والأشخاص اللي احنا ممكن نحتاجهم ماتوا واتحللوا من سنين؟

نظر كريم لهشام ومال برأسه موافقًا على هذا السؤال، ولكن كانت ابتسامة علّام هي البداية لإجابته وكأنه كان يتوقع السؤال:

- طبعًا النقطة دي معدتنيش، ولما بحثت في الموضوع دا عرفت إن التعويذة حتتم بنفس ترتيب خطواتها عادي في استدعاء روح ماتت من فترة طويلة، لكن بتقل فترة صلاحية التعويذة في الحالة دي للنص يعني حتعيش الروح حوالي ٢٠ يوم بس.

نظرَ كريم لهشام مستغربًا ما قاله علّام ثم ردَّ كريم مُستفهمًا:
- هي فين التعويذة دي أصلاً، يا أستاذ ساهساهومي ابن كعكع ملك الجان؟ يا خِطِر انت!!

أكدَّ هشام سؤالَ كريم بقوله:
- صح يا كريم دا كان سؤالي التاني.

نزلَ علّام من على الأريكةِ ثم جلسَ مرةً أخرى وأمسكَ حاسوبَهُ ثمَّ نظرَ لهُما مستغربًا وهو يقول:
- مانتوا سمعتوه؟

نظرَ له كريم وهشام مندهشَيْنِ في حالةِ صمت، ثم قالوا في صوتٍ واحد:
- الأغنية؟!

قال علّام مبتسمًا والبلاهة عنوان وجهه
- آه، هي التعويذة، بس مش بنفس الطريقة اللي سمعتوها من شوية.

أمسكَ هشام بكتفِ كريم ليترك علّام ومالَ برأسه طالبًا منه أن يتركَهُ من أجلِهِ، ثم سأله هشام وهو يحاول أن

يتمالك أعصابه:

- يعني إيه؟ إخلص.
- المطربة اللي سمعتوا صوتها دي من نفس قبيلة "الأمونشاوا" ووظيفتها إنها تحافظ على التعويذة وسرها، ومكانش قدامها غير إنها فكرت في طريقة جديدة عكست كلمات التعويذة عشان تبقى أغنية وبتغنيها بشكل عكسي، نفس الفكرة اللي أخدها مصطفى قمر في تصوير أغنية منايا، بالشكل دا هي حافظت على سريتها، وهدفها اتحقق بالأسلوب دا عشان التعويذة تفضل موجودة وتعيش أكتر لكن اللي يعرف سرها مش كتير، وأنا بمجهود وبحث عرفت أوصل للسر ده، وأنا عندي البرنامج اللي يقدر يرجعها تاني لأصلها، وزي ماقولتلكم ونخليها شعارنا في الفكرة دي "إحنا مش حنخسر حاجة"، ها.. اقتنعتوا؟

نظرَ له كريم وهشام ومالا برأسهما بالموافقة فأكملَ علّام حديثَه:

- دلوقتي لازم نحدد الشخصيات التاريخية اللي حنعملها تماثيل وحاتكون أقوى مجلس استشاري في تاريخ البلد دي.

هُنا قاطعَهُ هشام بحدّة:
- قبل ما نحدد الشخصيات لازم نحدد الملفات اللي في أولوية احتياج البلد لمجلس استشاري يحلها لأن الملفات كتير ولازم نختارها بالأولوية.

أمسكَ كريم بكتفِ هشام معبرًا له عن استحسانِ ما يقول:
- انت صح يا هشام، أنا شايف إن الملف السياسي من أقوى الملفات اللي محتاجة لحل هو والملف الاقتصادي.

نظر له هشام وقال متابعًا:
- معاك جدًا بس ملف التعليم وملف الصحة مايقلوش عنه أهمية على فكرة.

كان علّام يتأملُ حديثَهُم واقتناعَهُم بفكرِتِه وأرادَ أن يضيفَ لهم:
- وماتنسوش الملف الأمني والملف الرياضي، أنا شغال في حسابات استاد القاهرة وأكتر واحد لامس الموضوع دا كويس.

جلسَ هشام على الأريكةِ وأخرجَ قلمه ودفترهُ الطبي الخاص، وبدأ في تدوين ما اتفقوا عليه وهو يقول:

- معنى كده إننا عندنا ٦ ملفات هما الملف السياسي والاقتصادي والصحي والتعليمي والرياضي والأمني .. تمام؟

فرد عليه كريم وعلّام
- تمام.

أكمل هشام حديثه وهو ينظر للاثنان في حدَّةٍ وقال:
- ست ملفات، يعني عايزين ست شخصيات قدروا يحلوا الملفات دي في زمنهم وزي ما نجحت معاهم ممكن تنجح معانا، دا لو اقتنعنا بفرضية أستاذ علّام، فكروا كويس في الشخصيات اللي حنحضرها هنا لمدة ٢٠ يوم، بس لازم يكونوا قادرين على حل الملفات دي أو على الأقل يرسموا الخط الصح لحل المشاكل دي، كل واحد يفكر إيه الشخصية المناسبة للملفات اللي اقترحها.

ظل الثلاثة صامتِين عدة دقائق حتى كسرَ كريم الصمتَ بقولِه:
- أنا اخترت للملف الاقتصادي "محمد على باشا"، وخلاص عرفت مين اللي حيمسك الملف السياسي.

جذبَتْ جملةُ كريم انتباهَ كلٍّ مِن هشام وعلّام وصمتا

ليعرِفا ما هو اختياره، حتى قال:
- "الزعيم محمد أنور السادات".

نظرَ هشام له موافقًا على اختياره ثم قال مؤيداً:
- اختيار ممكن يكون فعلًا الحل للملف السياسي، أنا برضه وصلت للشخصيتين اللي حيقدروا يمسكوا الملفين اللي معايا.

التفت له كريم سائلاً:
- مين يا هشام؟
- اخترت لملف التعليم "الدكتور مصطفى مشرفة" وللملف الصحي "الدكتور مصطفى محمود".

أثار اختيارُ هشام للشخصياتِ إعجابَ كريم، ثم التفت هما الاثنان لعلّام مستغربيْن صمتَهُ غير المعتاد، فحاولَ كريم أن يخرجَهُ عن صمته بضربةٍ على كتفِهِ وهو يقول:
- هو أنت حمّستنا على الموضوع وفي الأخر حتنام انت.

فنظرَ لهُ علّام ثم بعُد عنهما خطوتين وقال:
- الشخصيات اللي فكرت فيها غريبة شويتين عن

الشـخصـيات اللي فكرتوا فيهم انتوا، بس أنا شـايف أنهم فعلًا حل برة الصندوق ودا ميزته.

ابتسم هشام له وهو يقول:
- قول يا عم وربنا يستر من دماغك.

فنظرَ لهما علّام آخذًا نفسًا عميقًا ثم قال:
- أنا شايف إن اللي يقدر يحل الملف الرياضي هو...

صمتَ قليلًا ورجعَ للخلفِ خطوةً خوفًا من ردِّ فعل كريم، ثم أكملَ حديثَه متردّدًا
- هو... " صالح سليم "

ثمَّ نظرَ إلى هشام الذي فاجأهُ بموافقته على اختياره وفزع عندما وجد يد كريم تشيرُ إلى رأسِهِ وهو يقول:
- طب ما الصفيحة دي فيها جراثيم أفكار حلوة أهيه، لا بجد فـاجئتني، هـاه مين بقى اللي اخترتـه للملف الأمني؟

بعد أن أبدى علّام ارتيـاحَـهُ لردِّ فعل كريم ومِن قبلِـهِ هشـــام، فعاودتهُ مخاوفَه من ســؤالِ كريم عن اختياره الثاني، ولكنّه شـعرَ بأنّهُ يقللُ من نفسِــه ويجب عليهِ إن

يجيبَ بكل شجاعةٍ وثقة، أخذَ يرسُمُ على وجهِهِ ملامحَ الحزمِ وهو يقول:
- أنا شايف إن الشخصية اللي تمسك الملف الأمني هو "رياض القصبجي".

وقفَ هشام من جلستِهِ وتحركَ ناحية علّام وأشار لكريم بأنْ يصمتَ، وعندما اقترب من علّام مال برأسِهِ ناحيته وهو يسأله بصوتٍ خافضٍ متّزن:
- انت قولت اختيارك للشخصية اللي حتمسك ملف مصر الأمني، رياض القصبجي؟ أنا سمعت صح؟

فنظرَ له علّام الذي استغرب ردّ فعل هشام بشكلٍ خاص، ورد عليه بصوتٍ مرتعش:
- أه .. رياض القصبجي.

التفت هشام لكريم وهو يقول له ساخرًا:
- الأستاذ شايف إن حل مشكلة الأمن في مصر "الشاويش عطية"، كريم قدامك ٥ دقائق وتخلصني من غباؤه.

فانقضَّ كريم على علّام ممسكًا رقبته وهو يقول:
- ليه ٣ دقائق؟! كتير عليه، هما ٢٠ ثانية كفاية.

كان علّام في وضــع التنجيد تحت كريم وكأنّهُ ممسـكٌ بوسادةٍ قطنيةٍ تحتاجُ الكثير من الضرب لإنعاشِها وبثِّ الحياةِ فيها مرةً أخرى، وعلّام يحاولُ الفرار من كريم ولكنّـه يُعتبر الآن غـارقًـا في بحر الرمـال الأعظم فلا مفرَّ، وعندما شعر بأنه في طريقٍ مسدودٍ حاول إقناعهم باختيارهِ وهو يقولُ صارخًا:

- يا جماعة إدوني فرصـة أشرح وأفهمكوا ليه اخترته هو بـالذات، هو فرد الأمن الوحيد الذي اكتملتْ فيهِ المواصــفاتُ المطلوبة، شــرطيٌّ منضــبط، مُحِبٌ للخير، لا يخـالفُ رؤســـاءه، يعرفُ أن خـدمتـه للمواطنِ هي خدمةٌ للوطن، لا يتهاونُ مع أيِّ لص، أمينٌ وليسَ مرتشيًا.

أفلتـه كريم من يـديـه وجلسَ بجـانبِـهِ ينصـــتُ لـه وهو يحاولُ أن يتنفسَ ليكمِلَ حديثَه:

- أجيب منين حد فيه كل المواصــفات دي في التاريخ غيره، حد يقولي؟ واحد من برة الصـندوق من زمن الشــرطة الجميل، أيام ما كانت الشــرطة في خدمة الشعب بجد.

نظرَ هشام لكريم ولعلّام مستعجبًا ثم قال:

- رغم إن اختيـارك تحســـه إنـه ألش مش أكتر لكن

كلامك أقنعني بنسبة مش قليلة، وإحنا كده كده مش حنخسر حاجة على رأي شعارك.

قام كريم بعدَ أن استند على علّام الصارخ من وزنِهِ المثقلِ عليه وبعد أن وقفَ مد يده لعلّام المستلقي على الأرض ليساعدهُ على القيامِ وهو يقول:
- يمكن يكون هو فعلًا الحل، واللي تخاف منه مايجيش أحسن منه.

نظرَ علّام لكريم في ثناءٍ وهو يقول:
- شكراً، عشان اقتنعت بكلامي وسبتني في وسط كلامي عشان أكمل وأشرح بشكل أحسن.

تعالتْ من كريم عدة ضحكاتٍ ثم قال:
- اقتنعت؟ .. أنا؟ .. لا خالص .. أنا سيبتك عشان الكلمتين الفصحى اللي دخلوا في وسط كلامك مش أكتر، قال إيه مرة واحدة بدون سابق إنذار لقيتك اتحولت وقُلت: "هو فردُ الأمن الوحيدِ الذي اكتملتْ فيه المواصفاتُ المطلوبة .... " لا وهريت بعد كده كتير، ماكنتش فاهم إيه اللي دبلجك فجأة هههههه.

رد عليه علّام ضاحكًا

- أنا مش عارف هي قلبت مني كده ليه مرة واحدة بس لاقيتها ماشية مافيش مشاكل، هي المسلسلات التركية اللي بوظتنا، كنت خايف أقولك في الأخر " اتركني خانو راح أأوصك".

ضحِك الجميعُ وجلسَ هشام مرةً أخرى ليدوّنَ الأسماءَ التي تمّ اختيارها أمام أسماء الملفات التي كان قد دوّنها من قبل، واتفقوا على أن يوزعوا على بعضهم المهام المطلوبة لتلك المهمة، ويكون هذا الموضوع هو سرّ هُمُ الأكبر حتى يحينَ موعدُ الإعلان عنه.

******

مرّ أكثرُ من ثلاثة أســـابيع على الاتفاقِ الثلاثي، وعثُر بالفعلِ هشـــام على نحاتٍ متميزٍ يُدعَى "ســـمير" كان رفيقه في المرحلة الثانوية، وكان فنانًا بحق، لكنه لم ينجحْ في اختبارِ القدراتِ لدخولِ كليةِ الفنونِ على الرغم من أنه هو بنفسه من أنهى تصميمَ زميلِهِ بعد أن انتهي من تصـــميمِهِ الخاص قبل موعد زمن الاختبار، لتظهرَ النتيجةَ بإعلان نجاح زميلهِ ورسوبِه هو، فتأتي الرياحُ بما لا تشتهي السفن، أو بمعنى أوقع "الكوسة"، وكان تنسيقُه منصِفًا كعادتِه دائمًا رغم نسبة الإعاقة في نظامِ هذا التنسيق، فلقدْ قُبل في كليةِ آداب القاهرة بقسمِ المكتبات، ورغم ذلك فقدْ تحدَّى ظروفَهُ وحظهُ الســيء ونظام "صفاية الكوسة المستبدة"، وأصبح أشهر نحاتٍ في جيلِهِ يقومُ بعملِ مشـــاريعِ التخرجِ لطلبةِ كلية فنون جميلة من الباطن، له مركزهُ التدريبي الخاص الذي يزوره هشام بين الحينِ والأخر.

اتفقَ هشام معَهُ على أن يقومَ له بنحتِ التماثيلِ الستّة، وبالفعلِ أنهاهُم بمهارةٍ كأنّهم أجســادٌ تنبضُ تحت طبقةٍ صلبة.

- يخرب بيتك يا ســـمير دول بشـــر مش تماثيل، كل

التفاصـــيل موجودة ، فعلًا أنت جوهرة وإيدك دي تتلف في حرير.

- هههههه ربنا يكرمك يا هشـــام دا من ذوقك، كما قال الشـــاعر كريم صـــاحبك الشـــاعر البوهيمي: "المتميز في البلـد دي آخره يتميز في الشِـــمـال، وعلاقته بسلم المجد والنجاح إنه تحت منه شغال".

ضـحكَ هشـام ضـحكةً بائسـةً على قول سـمير فهذا هو الهَمّ المُضـحك، وقد أتم سـمير تلك المهمة في ورشـةٍ مهجورةٍ خلف أرضِ الخصـــوص، كـان قد قـام علّام باســـتئجارها من زميله الذي يعمل في صـــيانة مقاعد الاســـتـاد، وبـأموال كريم كان كل شـــيءٍ يُنجزُ بإتقانٍ وسـرعةٍ وكما قال الشـاعر البوهيمي: "معاك فلوس .. على البنزين دوس".

واستطاع كريم الاتصـالَ بصديقِهِ "نبيل"، والذي يعمل في شـركة "تاتا تاتا" لخدمات النت، ورغم عبقريتِهِ في مجالِ الحاســـبِ الألي وتكنولوجيا المعلومات، لم تكن الوظيفةُ على هذا القدرِ من الموهبةِ، لكن رؤيةَ الشركةِ المحدودةِ لم تصـــل إلى هذا المســـتوى، وإنما رأتْ أن توظفَهُ كفني دعم بـإحدي فروعها لتكون وظيفتَهُ عبارة عن ورقـة أمـامـه بـأســـئلـة نموذجيـة لإجابات نموذجية

تنتهي بالحلّ السحريّ غيرِ المتوقع وهو الاقتراح الأشهر: "ممكن حضرتك تقفل الراوتر وتشغلُه تاني؟!"، وتلك قاعدةٌ سحريةٌ مصريةٌ عريقة تحُلُّ جميع المشاكل، اغلق الشيء ثم أعِد فتحَهُ مرةً أخرى لترى المعجزةَ اللولبية في إصلاحه، وحتى إذا مرضتَ صحيًا فالحلُّ حينئذٍ يتلخصُ في: "نام وادّفَى وانت حتصحى زي الفل".

وكان الإتفاق بين كريم وصديقِهِ مبنيًا على عملِ قرصنةٍ على إحدى القنوات الكبيرة لإذاعةِ فيديو إعلاني عن الفكرة مدتُه دقيقةٌ واحدة ثم العمل على تسويقِ وانتشار هذا الفيديو على مواقعِ التواصلِ الاجتماعي بشكلٍ كبيرٍ وسريع، فكان رد نبيل على هذا العرض أن قال:

- والله الواحد مخنوق يا كيمو وعايز يتسلى شوية ويفضي دماغه من الروتين اللي واكل عضم الواحد، بس الموضوع حيتكلف شويتين.
- مايهمكش حاجة يا نبيل اللي أنت عاوزه مش حنختلف بس ماقولتليش عاوزه كاش ولا بلاش، وأحولهولك على بنك الهِس بِس (HSBC) ؟!
- هههههههه لا خليها كاش.
- عندك حق يا بلبل، كما قال الشاعر البوهيمي:

"الكاش انتعاش".

- هههههههههه مالكش حل أنت يا كيمو، معادنا امتى بإذن الله؟
- بكرة الساعة ٨ حنتجمع كلنا، تمام؟
- تمام.

أنهى الثلاثةُ المهامَ الموكلةَ لكل فردٍ فيهم، جهّزَ علّامُ المكان لتنفيذِ العملية، وأحضرَ هشامُ النحات الذي أنجز مهمته بشكلٍ كبير، وأحضر كريم المقرصن الإلكتروني، واتفقوا على أن تبدأ أولُ خطوةٍ من خطتهم غدًا في تمام الساعةِ التاسعةِ بعد أن يسجّلوا أول فيديو عن تلكَ الفكرةِ، واجتمعوا على ذلك ليلًا داعينَ اللهَ أن يوفقَهم بعدَ أن تناولوا وجبةَ العشاء وذهبَ كل فردٍ منهم إلى فراشِه، عدا كريم الذي كان ينتظرُ عاملَ الديلفري ليحضر له وجبةَ العشاءِ الثالثةِ فهو يدرك أنه سوف يدخلُ على مرحلةٍ تحتاج للتركيز والتفكير وهو ينفذ ما يحتاجُه جسدُه بلا شك، فمبدؤه في مثل تلك المواقفِ مبدأ الشاعر البوهيمي القائل: " التفكير .. خسّسنا كتير"، وهو يريد أن يحافظ على رشاقته البلونية.

وتمر الساعاتُ سريعًا، ويأتي الغد لتنفيذِ أولِ خطوةٍ في الخطة الموضوعة، يجلسُ هشام وسمير أمام التماثيلِ

الستة التي طلب هشام أن تُغطَّى بغطاءٍ كبير، فلقد أراد أن يعطي سـمير حقَّه في إبداعه عندما يرى انبهار زملائِه من روعةِ نحتِه وتمكنِه من موهبتِه، ولقد أخبره بما ينوّن على فعله فكان رده:

- على رأي صاحبك علّام مش حنخسر حاجة، ماهي خربانة بخرسانة، أدينا بنحاول وبنعمل اللي علينا، أنا معاكوا وموافق جداً.

يدخل كريم ومعه نبيل وهو يسرع قليلًا في خطوتِهِ ويقول:

- ماتقولش متأخر والكلام دا أنا يدوب أكلت في السكة وجبة كنتاكي خفيفة.

ينظر له نبيل مندهشًا وهو يقول:

- خفيفة؟! .. أنا أول مرة أشوف حد بيدور على أكل لنفسه في الوجبات العائلية وياريته بيطلب منها وجبة لا ممكن اتنين وتلاتة ، أنا أسف يا جماعة مسلمتش عليكم.

قالها نبيل لهشام وسمير محاولًا الاعتذار عن حديثه المفاجئ دون أن يتعرفَ عليهِم ويرحبَ بهم ولكن أسعفَه هشام بالرد:

- لا ولا يهمك دا كريم، العادي بتاعه يخليك تطق من جنابك وتحس إن مش أبوه وأمه الله يرحمهم هما اللي سمُّوه كريم، أنا شاكك إن بطنه هي اللي سمته كريم من كُتر الكرم اللي بيعمله معاها، صاحب واجب يعني.

ينظر له كريم مستخفًا بمزاحه ثم يقول له:
- في خفيف تاني حيقِب على الميّا ولا دا آخر واحد، معلش يا فنان بيحبوا يعيشوا عيشة العوّامات وكدا.. خُفاف أوي، أخوك كريم.

قالها كريم وهو يمُد يده ليصافحَ سمير الذي كان يقف صامتًا يرسم ابتسامةً فقط على ما يسمع، وهو ما جعل هشام يتقدم ليعرّفَ نفسه لنبيل قائلاً:
- وأنا الدكتور هشام صاحب كريم منذ سِمنةِ أظافره.
- وأنا الباشمهندس نبيل صاحب كريم من ٥ سنين وشغال في الدعم الفني في شركة "تاتا تاتا".

ينظر كريم لساعته وهو في عجلة من أمره ثم يقول:
- أنا متأخرتش يا عم الساعة سبعة وخمسة بس أنا جاي بدري أصلا، أومال فين أبو دماغ صفيح

صاحب الليلة دي، فين علّام؟

فيجاوبه هشام مستغربًا:
- مش عارف اتأخر ليه.
- ماتقلقوش يا جماعة الغايب حجته معاه.
كان هذا رد نبيل عليهم ليطمئنهم قليلًا، ولكن لم يطُل الانتظار كثيرًا، وذلك بعد أن لاحظوا صوت سيارة تقف خارج الورشة ويُقفل بابُها وصوت علّام يصيح في السائق قائلًا:
- ثواني حشوفلك جوه.

وبالفعلِ يدخل علّام مسرعًا تظهر على ملامحِهِ علاماتُ الغضبِ يحملُ حقيبةَ حاسوبه المحمول وحقيبةً كبيرة بها سماعات صوت وسماعات رأس، يرمي ما يحمله على الأرض أمام كريم ويقول له وهو في عجلة من أمره:
- هات ٥٠ جنية بسرعة يا كريم.

فيحاول أن يمازحه كريم قائلًا:
- ليه إن شاء الله .. مراتي؟!

لم تنجح تلك المزحة مع علّام في هذا الوقت فيرد عليه

غاضباً:
- مش وقته يا كريم السخافة دي، بتاع أوبر واقف برة ومامعاهوش فكة ولا عاوز ياخد الفلوس اللي معايا عشان فيها ٢٠ جنية ملزوقة.

يضحك له كريم مستخفًا به وهو يخرج له المال:
- خد الـ ٥٠ أهُم، راكب أوبر يا علّام، أوبر يا علّام، الله يرحمه لما اتهور وساق الحمار من غير نمر.

يخرج علّام مسرعًا ليدفع للسائق باقي أجرتَه وسطَ ضحكاتِ الجميع على ما قاله كريم، ثم يعود لهم وما زال عابسًا حتى قالَ:
- أنت عارف الله يرحمه كان جايب الحمار ليه يا كريم؟

فيرد كريم متسائلًا:
- ليه؟
- مش عشان يركبه، عشان الحمار عارف السكة هههههه.

يغرق الجميعُ في الضحكِ حتى يقفَ كريم بجوارِ علّام وهو يضعُ يده على كتفِهِ ويقول:

- هو دا علّام، هو دا صـــاحب الفكرة اللي مجمّعانا، ولكُم أن تتخيلوا، نبيل صـديقي وعبقري الكمبيوتر، والفنان سمير النحات المبدع.

يتقدم علّام ليرحبَ بسمير ونبيل الذيْنِ تولى كريم مهمة التعريفِ بهِم أمامَ علّام فيبدأ علّام بقولِه:
- الفنان سمير، عايز أشوف إبداعك.
- دا شيء أكيد يشرفني.

يتحرك ســمير إلى لتماثيل المغطاة ويجتمع أمامهم الباقي حتى يكشفَ عنهم واحدًا تلو الأخر ويسمع بعد كل غطاء يكشـــفه عن صـــيحاتِ الانبهارِ والإعجابِ والتصـــفيقِ بما أنجزه من إبداعٍ والجميعُ يثنى عليه، حتى قاطعهم كريم وقال:
- الفكرة شكلها بيحلو في دماغي وكفاية المستوى دا كبداية لازم نبتدي الخطوة اللي جاية بســـرعة وهو دور نبيل، إحنا حنسجل فيديو دلوقتي واللي حيقول البيان هشـــام، وعلى نبيل إنه يعمل هاكر على بث قناة مباشـــر ويذيع الفيديو، هو كان أخد فكرة مني إمبارح عن الموضوع واشتغل عليه.

يقفُ نبيل ويفتحُ حاسوبه المحمول قائلاً:

- إمبارح لما كريم فتح معايا الموضـــوع وافقت بدون نقاش وابتديت أشـــتغل بالفعل وكان لازم نختار برنامج عليه نسـبة مشـاهدة قوية عشـان أضـمن انتشـار الفكرة بشـكل سـريع، والحمدلله تم اختيار القناة والبرنامج اللي حنقطع البث عنه ونذيع الفيديو بتاعنا.

يقاطعُه هشام ويسألُه:
- برنامج أيه؟

يرد عليه نبيل منتشيًا:
- برنامج "كلام جد شوية" تقديم "أمجد الكيلاني".

كانت إجابة نبيل كصـــاعقةٍ أصـــابتِ الجميعَ حتى رد عليه كريم متسائلاً:
- أنت بتهزر أكيد، أمجد الكيلاني؟!، أعلى نســـبة مشاهدة إزاي يعني؟!
- أكيد بيهزر يا كريم!!

كان هذا رد علّام نافيًا ما ســـمعَه حتى أجابَهم نبيل مبتسماً:
- اسمعوني بس يا جماعة مش حنختلف إن لُه جمهور ودا أكيد حيشـــوف الفيديو، واللي بيكرهوه، ودول

كتير لما يعرفوا إن القناة اتقرصـــنت وبثها اتقطع أكتر من ســـاعة، الغل عندهم حيخليهم يتأكدوا من الخبر ولما يتأكدوا يشـــيروا، ولما يشـــيروا الخبر ينتشر، ودا اللي إحنا عاوزينه.

ينقض كريم عليه ويقبّلُ رأسَه قائلًا:

- يا جماعة المخ النظيف نظيف، تسلَم دماغَك، وعلى رأي الشاعر البوهيمي: "أنا أفكر .. إذًا عندي مخ".
- حاتوقف البث ساعة كاملة؟

كان هذا سـؤال هشـام لنبيل الذي جاوبه مبتسـمًا بثباتٍ قائلًا:

- حوقف البث ســاعة والفيديو بتاعنا حيفضــل يتكرر عشـــان أضـــمن أكبر عدد يقدر يحمله وأضـــمن انتشاره، بس أنا لسه ناقصني الفيديو، حيجهز أمتى؟

يتحرك علّام وهو مسرعًا ويقول:

- ثواني نظبط هشام في ماسك ولبس أسود عشان مش حابين نظهر في الصـــورة في الوقت الحالي، وإدينا بـالظبط نص ســـاعـة ويكون الفيـديو البيـان جـاهز معاك.
- تمام مستنيك.

******

يتحرك ســريعًا بين ممراتِ الغرف لا ينشــغلُ بالتحيةِ العسكرية التي تُلقى عليه أثناء سيره بين معظم الأفراد الذين يمر عليهم حتى يصــل إلى باب كبير يظهر عليه علامات الفخامة والرقي مُعلقٍ عليه لافتةً مكتوب عليها "رئيس جهاز الأمن العالي"، يقف أمامه وينظم أنفاسَـه المُسرعةِ ويهندمُ ملابسـه ثم يطرُقُ البابَ وبعد لحظاتٍ يُسمع صوتٌ أجش عالٍ يقول بثبات:

- إتفضل

يفتح الباب ويتحرك بخطواتٍ متوترةٍ، ويظهرُ هذا على ملامحِ وجهِهِ بوضوح ويفاجئه صوتٌ يصرُخُ فيه:

- في إيه يا سامح؟ خير.. مالك؟

فيحاول أن يستجمع قواهُ ويقول:

- في خبر وحش يا معالي طارق باشــا حصــلت من حوالي عشـرين دقيقة، عملية قرصـنة على برنامج الأسـتاذ أمجد الكيلاني والبث موقوف وبيتذاع بداله بيان غريب مدته ٣ دقائق وبيتكرر، لازم حضـرتك تشوفه.

يقف هنا اللواء طارق غاضبًا ينظر له ثم يبحث عن الريموت حتى يمسكه ويفتح التليفزيون ويختار بواسطته القناة المقصودة ليرى مشهدًا لغرفةٍ تفتقرُ إلى الإضاءةِ بشكل كبير، وستة تماثيل مثل تماثيل متحفِ الشمع من دقتهم، يتوسطُهُم شخصٌ يرتدي ملابسَ سوداءَ ذات طابع فتيان النينجا وألعاب الكارتيه، وعلى وجهه قناعٌ لوجه "الجوكر" المهرج من أفلام الرجلِ الوطواط "باتمان" ممسكًا بورقة، وصوت تم وضع بعض التحسينات والتعديلات عليه ليجعله غير نمطي يقول:

- "بيان من شباب يحبون مصر، نحن نعلم أن آفة هذا البلد هو أن هُناك إعتقاد عِند البعض مِنا إنه يستطيع أن يحل أزمات بلدنا الكثيرة إذا أصبح هو المسئول رغم جهله بأبعاد كل أزمة بشكل كامل وواضح أو من ذوات الخبرة الكافية حتى يقوم بحلها، فالجميع يفتون ويرون أنهم الأولى بالحِكمة والمسئولية ، وعِرفانًا منا لهذا البلد وحبنا له، قررنا أن نأتي بأكثر ستة شخصيات عبقريةً في مجالها، أثرتْ كثيرًا في زمانها، لكل شخصٍ منهم مسؤولية ملفٍ في الدولة، سيبقوا معنا لمدة عشرين يومًا يحاولون أن يحلوا تلك الملفات الشائكة، أو على الأقل وضع خطة وميثاق عام نسير عليه من بعدهم، وهذا سوف يتم من خلال إلقاء تعويذة على تلك التماثيل الستة لتعودَ

أرواحُهم فيها وتعيش معنا عشـــرين يومًا ثم تغادر عالمنا مرةً أخرى بلا عودة، كل هذا سيتم مباشـرة على الهواء أمامكم، أيها الشـــعب العظيم.. غدًا في تمامِ السـاعةِ التاسـعة مسـاءً، ولكي تعلموا كم نحن وطنين وهدفنا مصـــلحة هذا الوطن، فلقد تم اختيار الشـخصـيات بعناية ولكل شـخصـية منهم حكمة، تم اختيار "الزعيم أنور السـادات" للملف السـياســي، و"الدكتور مصـــطفى مشـــرفة" للملف التعليمي، و"الدكتور مصـــطفى محمود" للملف الصـــحي، و"محمد علي باشـا" للملف الاقتصـادي، و"الكابتن صـالح سليم"للملف الرياضـي، و"الشـاويش رياض القصـــبجي" للملف الأمني ، ونحن نطلب منكم أيها الشـعب العظيم أن تدعمونا بعد أن تشـاهدوا التجربة أمامكم وتؤمنوا أننا نهدف لمصـلحة هذا الوطن فقط وصـــــادقون فيمـا نقول أن تـدعمونـا حتى توافق الحكومة على قبول اســتشـــارة أكبر مجلس حكماء عرفته مصر منذ فجر التاريخ.

اللهم احفظ هذا البلد من كل شر دفين

شبابٌ يحبون مصر"

عند إعادة البيان مرة أخرى ضغط اللواء طارق على الريموت فأغلق الصوت ثم سار ناحية شاشة التليفزيون

واستدار للرائد سامح وهو يشير إلى الشاشة ويقول:
- إيه الهبل دا يا سامح؟، إيه شُغل العيال دا يا حضرة الظابط؟

جاوبه سامح محاولًا أن يطمئنه:
- دي شـوية عيال زي ما حضـرتك قُلت مافيش منهم خوف.

يقترب منه اللواء طارق خطوتان وهو يفتح علبة سجائره ويشعل واحدة منها، ويأخذ منها نَفَسًا طويلًا ويخرجُه وهو ينظر لسامح بنظرة ثابتة جامدة خلت من حياة ثم يقول:
- مافيش منهم خوف إزاي يعني؟
- يا طارق باشـــا البيان بيقول بعد ما يعملوا شـــغل السحر والشعوذة دا لما ينجحوا فيه عايزين الشعب يدعمهم، حضرتك الموضوع انتهى من قبل ما يبدأ.
- إزاي يا عبقري زمانك؟
- هما معتمدين على ســـحر وكلام خرافات تافة ما أظنش حيبقى منه خوف، هو حضـــرتك اللي فعلًا لازم نشتغل عليه هو عدم تكرار الموضوع دا تاني، ما ينفعش كل شـوية قناة يحصـلها قرصـنة ويتذاع فيها بيان لأي حد، ماحدش يضمن الموضوع تبعياته

حتوصل لفين بعد كده.

يصفقُ له اللواء طارق وتتضحُ عليهِ ملامحُ السخريةِ مما قاله:

- إيه الكلام الكبير دا يا ســـامح بيه، أنت ناوي تقول بيان أنت كمان، ماهي بقت خرابة أي حد يقدر يقول اللي هو عايزه وقت ما هو عايز، ليه البلد مافيهاش أمن ولا إيه؟

يقلُّ حماس الرائد سامح ويشعرُ بكمّ الغضبِ الصادر من اللواء طارق وهو ما يجعله ساكنًا ينظر في الأرض متخاذلًا وهو يقول:

- أنا أسف يا فندم، أنا تحت أمر معاليك.
- الفكرة في حَد ذاتها جميلة لما يبقى عندنا عقول زي الناس العظماء دول هما اللي بيحلوا المشـــاكل اللي عندنا ســـاعتها فعلاً الموضـــوع حايتحســـن كتير، العيال دي وطنية لكن اِستخدام حُسن النية مش دايماً بيشفع في الغلط , فهمت يا حضرة الظابط!؟
- تمام يا فندم.

******

أصابعُ يده تتحركُ بسرعةٍ وتقفز بين حروفِ لوحةِ المفاتيح بحاسوبِه المحمول، تتنقّل نظراتُه بين أماكنَ كثيرةٍ، ترتسمُ على وجهِه ملامح الفرحِ والذهول، يلتفتُ حوله فيرى حماسَ هشام وكريم حتى صاح منتصراً:

- مش ممكن بجد، فيديو البيان حقق مشـــاهدات من امبارح لحد دلوقتي عمل خمســـة مليون مشـــاهدة واتّرجم إنجليزي وبيتذاع في نشرات أخبار عالمية، وعامل ضجة خرافية على السوشيال ميديا:

يضع هشام يده على كتفِه متحمسًا:

- فعلًا يا نبيل ماحدش كان يصـدق الانتشـار بسـرعة كده، النجاح حلو برضه.
- ولســـه لو تجربـة علّام نجحت فعلًا واتذاع دا على الهوا قدام العالم حيبقى حدث عالمي.

قالها كريم فرحًا لنبيل وهشام ثمّ وجّه سؤاله لنبيل قائلاً:

- نبيل هو إحنا حنســـتنى ميعاد برنامج أمجد الكيلاني عشان نذيع فيديو التجربة؟
- وإحنا مالنا ببرنامج أمجد الكيلاني؟

يتفاجأ كريم وينظرُ لهشام الذي كان مستغربًا أيضًا ثم يعودُ سائلًا نبيل:

- مالنا إزاي أنت مش قرصـــنت على البرنامج بتاعه حوالي ساعة امبارح واتقال في البيان إننا حنذيع في نفس الميعاد الساعة ٩، إيه اللي إتغير؟

ينظرُ لهُما نبيل مبتسمًا ومنتشيًا فيقول:

- إحنا فعلًا قرصـــنا البرنامج بتاعه وذِعنا فيه البيان إننا حنذيع التجربة الســاعة ٩، بس ما قولناش على نفس القناة ولا حتى على نفس البرنامج.
- ليه التغيير دا أنت أخدت وقت كبير امبارح عشـــان تقدر تقرصـــن على القناة وخلاص عرفت إيه أولها وإيه أخرها؟

هكذا وجّه هشام تساؤلَه لنبيل الذي أجابَهُ بكلّ ثقة:

- الوقت اللي أخدته في عمل هاكر على القناة امبارح دا يعتبر وقت طبيعي جدًا لأي عملية قرصنة ويمكن كمان أقل من الطبيعي ودا لأن القناة خاصـة ومحلية مش حكوميـة، فنُظُم الحمـايـة علي الأنظمـة بتـاعتهـا كان ضـعيف وقدرت أخترقه، أما عن سـبب التغيير دا لأن همـا أكيـد أخـدوا احتيـاطـاتهم وفـاكرين إننـا

حنســـتســـهل ونعمل هاكر على نفس القناة تاني، وساعتها يا إما حيصدوه بكل الطرق ودا لاستعدادهم الكبير للموضـــوع أو حيســـيبونا نذيع أول دقيقتين تلاتــة بــالكتير يكونوا عرفوا مصـــــدر قوتنــا في اصتيادنا لنقطة ضعف جوه السيستم الأمني عندهم ويقدروا ســـاعتها يتتبعوا الإشـــارة ويعرفوا المكان هنـا، مـاتنســـوش إن الحكومـة بكل ثُقلها دلوقتي في الملعب فلازم ناخد حذرنا.

ظهر بعضُ التوترِ على هشام وقال:

- أومـال إيـه خطتـك أنـت في إذاعـة البـث المبـاشـــر للتجربـة اللي خلاص مـافيش قدامنـا وقت غير نص ساعة بالكتير ونبتدي فيها
- إحنـا لازم نســـبقهم بخطوة ونلعب على مســـتوى الحدث والنتيجة اللي وصلنالها.

قال كريم مستفسرًا والتوترُ يتملّكُه:

- ياريت توضح قصدك إيه يا نبيل؟
- حاضـر يا كيمو، هما دلوقتي مستنيينّا ننزل نلاعبهم في ملعب برنـامج "كلام جد شـــويـة" بتـاع "أمجد الكيلاني" اللي على قنــاة "الأمــة"، بس إحنــا بقى عندنا مباراة تانية للأسـف على قناة "بيب إسـبورت

الرياضية" لقطع بث مباراة الكيلاسكو بين برشلونة وريال مدريد.

تظهر على كريم وهشام علاماتُ الذهولِ والفرحِ مما سمِعوهُ ثمّ قال كريم فرحًا:

- الكلاسيكو يا نبيل يا صايع، أنت عبقري.
- عندك حق يا كريم، أنت كدا ضمنت أكبر مشاهدة في الوطن العربي، كده فعلًا الحدث حيبقى عالمي زي ما قولت يا نبيل... يا دماغك.

فأجابه نبيل متحمساً:

- كل ما قدرنا نكبر عدد المشاهدين للفيديو، كل ماقدرنا نزود المؤيدين لفكرتنا، كل ما قدرنا نجبر الحكومة على تنفيذ الفكرة، ودي فايدة الميديا دلوقتي بقت أسلوب ضغط كبير على الحكومات، المهم إزاي تستخدمها.
- كلامك صح يا عبقري على رأي الشاعر البوهيمي، " السِياح سلاح المِتغَفلين".
- إنت مش حترحمنا من الشاعر بتاعك يا كيمو ماتقوله حاجة يا دكتور هشام.
- أقول إيه! هو على طول مصدّرلنا أحكام الشاعر بتاعه ده، اللي مش عارف له لا أرض ولا زمن ولا

مبدأ، بوهيمي بوهيمي يعني.

يدخلُ سمير عليهم مسرعًا ويقولُ لهم:
- شباب، علّام عايزكم في الحُوش جوه.

يتحركُ الجميعُ ليجدَ علّام يقومُ بوضعِ ساعاتِ الصوت بين التماثيلِ الستة الذين تم وضعُهم على شكلِ نصفِ دائرة، وأمامهم في المنتصفِ حاملٌ وعليه كاميرا الفيديو وبجانبها كشافان للإضاءة ثمّ منضدةٌ يضعُ عليها علّام حاسوبه المحمول ينظرُ في شاشته ثمّ يعودُ ويحركُ عدسةَ الكاميرا قليلاً، وعندما تجمّعَ الجميعُ خلف هذا المشهدِ بادره كريم بسؤالِه:

- إيه الأخبار يا جناب الكوماندا المهم علّام باشا؟

ينظرُ له علّام متجاهلًا ما قالهُ ويوجّهُ سؤاله لـ نبيل قائلاً:
- إيه الأخبار يا باشمهندس نبيل أنت جاهز؟
- جاهز جدًا وعندي مفاجأة ليك.

ينجحُ نبيلُ في لفتِ انتباهِ علّام ليجعلَه يتوقّفُ عن متابعتِهِ لشاشةِ حاسوبهِ المحمولِ وينظرُ له متسائلاً:

- خير يا باشمهندس، قدرت تعمل هاكر على قناة ليها عدد مشاهدين أكبر من بتاعت امبارح؟

يصمتُ الجميعُ وينظرون لبعضِهِم بعضًا إلا سمير الذي كان منتظرًا إجابةَ نبيل على علّام، حتى قطعَ هشامُ الصمتَ قائلاً:
- أنت عرفت منين إن نبيل حيعمل كده فعلًا؟

يتحركُ علّام لتعديلِ وضعِ سماعةِ صوتٍ بجانب أحد التماثيلِ ويقول:
- يعني دا الطبيعي، إحنا هدفنا أكبر عدد مشاهدين عشان الناس تنزل تتظاهر وتضغط على الحكومة في تنفيذ الفكرة.

يردُّ كريم مندهشًا:
- شكلي ححترمك يا علّام، هو مش أكيد بس ححاول.

يقفُ علّامُ ويلتفتُ للجميعِ وتظهرُ على وجهِهِ الجديةَ فيما سيقول:
- مش وقته الهزار دا يا كريم، إحنا داخلين على الجد خلاص وكلها كام دقيقة وحنذيع التجربة على العالم كله، ندعي ربنا إنه يوفقنا في اللي حنعمله، إحنا

هدفنا مصـلحة البلد قبل أي حاجة ومافيش مصـلحة شخصية من الموضوع دا لـأي حد فينا.

- عندك حق يا علّام.

كـان هذا ردٌّ كريم وتابعهُ بالتركيزِ فيما يقولُهُ علّام عن خطواتِ تنفيذِ التجربـةِ وأعطى كل فردٍ منهُم سـماعةً على رأسِـه حتى يفصلَهُم عن سَمَاعِ أصلِ التعويذةِ فلا يريدُ أحدًا أن يستغلَّها في أيّ شيءٍ قد يسيءُ استخدامَها ويبقى سرُّها معهُ هو فقط، حتى أنه طلبَ مِن نبيل عِندَ إذاعـةِ الفيديو غلق الصـوتِ في البثِّ المباشـرِ حتى يحافظَ على سريةِ التعويذةِ وضمان عدم انتشارها، كان هذا شـرطُهُ ووافق الجميعُ عليه بما فيه من مصـلحةٍ للجميع، فالأهمُّ هو تنفيذُ التجربةِ بنجاحٍ ولا تهمُّ الوسيلةَ المستخدمة.

بالفعلِ نفَّذَ الجميعُ ما قالهُ علّام وقفوا خلفَ الكاميرا واضعين سماعاتِ الرأسِ وذهبَ نبيلُ إلى حاسوبه وأشارَ لعلّام ليستعدَّ وهو يقول:

- ٥ .. ٤... ٣..... ٢..... ١..... أكشن

******

الأتربةُ بالغرفةِ تتطايرُ بسببِ الذَّبذباتِ المنبعثة من طَرْقِ السماعاتِ بعضِها ببعض، هذا الطَرقُ الناتجُ عن صوتِ طبولِ المساعدةِ في صوتِ إلقاءِ التعويذة، ضرباتٌ قويةٌ واهتزازات مسيطرةٌ على طبيعةِ التماثيل، الكلُّ يراقبُ ما يحدث سواءً من بالغرفةِ أو من يشاهدُ البثّ المباشر، الكلُّ مُرتقبٌ ما سيحدث ولكن مَن بغرفةِ التماثيل إحساسُهم أقوي بكثير، يكتسب الجميع قناع التوتر والقلق بجدارة، القناعُ الذي لمع من كثرة العرقِ عليه، الكلُّ يلاحظُ كل ذرة في كل تمثال، الكل ينتظرُ التغييرَ، أي تغييرٍ حتى انتهت التعويذةُ وصمتَ الصوتُ وأشارَ علّام للجميع أن يخلعوا سماعاتِ رأسهِم، واحدٌ تلو الأخر يخلعها وينظروا إلى بعضٍ متسائلين عمّا حدث؟ هل نجحت التجربةُ أم تلك بداياتُ الفشل؟ عيونُهُم تقولُ ذلك مراقبينَ علّام والتماثيل، حتى تفاجؤوا بصوتٍ غريبٍ قادمٍ من ناحيةِ التماثيلِ فتقدموا خطوة للأمام باحثين عن مصدره، فتفاجؤوا بكريم وهو يصرخُ ويشيرُ ناحيةَ تمثالِ محمد على باشا قائلًا:

- القشرة... الصوت دا سببه قشرة وقعت على الأرض من تمثال محمد علي.

هرولت عيونُ الجميعِ على ما قاله كريم ولكن بدأ هذا

يتكررُ في باقي التماثيل، صوتُ طقطقةٍ ثم شروخٍ ثم قشورٍ تتساقطُ حتى قالَ سمير:

- الطبقة الأولى الخارجية من التماثيل بتسقط.

ســـقطت الطبقةُ الأولى بالفعلِ من كل التماثيلِ ليظهرَ تحتَها جسدٌ ثابتٌ بشرتُهُ أصبحت أكثرَ بشرية، طالت تلك الطبيعةُ حتى ملبسُهم كان يشعّ بالحياة، لكنّ أعينَهُم لا تزالُ مغلقةً وفجأة وبدون ســـابق إنذار فتحت كل التماثيلِ أعينها في اتجاهِ علّام المتقدم، ليشـــهقَ الجميعُ في فزعٍ، وبدأت كلُّ تمثال في تحريك فكِّه ويديه يحاول تصديقَ إنه عاد إلى الحياة منبهرًا ومستغربًا بما حدث، بدأت جميع التماثيل تتقدمُ خطوةً للأمامِ متخطينَ الكوْمةَ الجافةَ من القشـــرةِ الطينيةِ التي حولهم، كل هذا حدث وســـط ذهولِ وصـــمتِ الجميع، الكلُّ يراقبُ دونَ أن تســـمعَ حتى صـــوتًا لأنفاسِـــهِم، حتى كسَـــر علَّام هذا الصمت عندما تحركَ خطوةً إلى لأمام قائلاً:

- أهلًا بعباقرة وعظماء مصـــر، أنا حجاوب على كل حـاجـة جـات في بـالكم أو ممكن تيجي بـالكم، إحنـا مين؟ إحنا أحفادكم من شعب مصر، الزمن؟ في سنة ٢٠٢٠، سبب اللي عملناه دا إيه؟ محتاجين لحِكمتكم اللي قدرت تحل مشاكل زيها في عصركم، وعشان أنتم فـارقتونـا من زمـان ومـافيش زيكم في زمـاننـا، جت الفكرة إننا نســـتعيد روحكم معانا بعد ما عملنا

لكم تماثيل تقرب من شكلكم الطبيعي بنسبة كبيرة، وقرينا عليكم تعويذة قديمة من السحر الأسود، اللي بسببها اتحولت التماثيل دي من حجر لبشر وحاتفضل معانا روحكم في الجسد شبه البشري دا لمدة عشرين يوم بس، دا اللي قدرنا عليه للأسف عشان تقفوا جنب حكومة البلد دي في حل الأزمات اللي احنا فيها.

قوبِل ما قاله علّام باستنكارٍ من الضيوفِ العظماءِ واجتاحت ملامحُ الغضبِ وجوهَم، وبدأ محمد على باشا الحديث ووجهُهُ يشعّ احمرارًا من ثورته قائلاً:

- يعني أنا روح، أنا شبح، أنا تمثال عجوة بلح؟
- أنت شيوعي يا ولد أنت؟! إزاي تتجرأ وتعمل اللي عملته دا؟! أنت شكلك من المدعيين الناصرية!

قالها الزعيم السادات منفعلًا بعدما أفرغَ مِن فمِهِ دخانَ غليونِهِ البنّي، فحاول علّام مدافعًا بقوله:

- أنا عارف إنه مش من حقنا إننا نجبركم على حاجة، بس إحتياجنا ليكم هو اللي خلانا نعمل كده، حالمين وبندعي ربنا يبقى الحل في إيديكم، أنا عارف إنه كلام غريب لكن دا الواقع والحقيقة دلوقتي.

لم ينهِ علّامُ جملتَه حتى قاطعَهُ دخانُ سجائرِ الكابتن صالح سليم قائلاً:

- يعني أنتم شـــايفين إننا حنقدر نحل مشـــاكلكم وأنتم مـاتعبتوش نفســـكم شـــويـة حتى عشـــان تجتهدوا وتوصـــلوا!! الحل بقى شـــغل عفاريت وأرواح وأعمال، الحمد لله إن الرياضة بعيدة عن الهبل دا.
- الرياضــة بقت كلها شـغل عفاريت وأعمال دلوقتي، بس للأســـف بيشـــتغل مع كلـه وعندك في الأهلي Stop مش جـايب نتيجـة مع الأهلي، مـا أنـت حامي النادي بروحك يا كابتن.

قـالهـا كريم محـاولًا تخفيف حـدةِ الموقفِ قليلًا ولكن لن تنفعَ محـاولتُـهُ كثيراً، مازال التذمّر على وجوهِ العظماءِ إلا الدكتور مصـــطفى محمود الذي نظرَ لهم مبتســـمًا وقال وهو يتأمل ما حوله:

- ٢٠٢٠ .. شـوف شـوف شـوف سـبحان الله بعد كل العلم اللي الواحد شـافه في حياته ومحاولاتي لتثقيف عقول النــاس في برنــامج العلم والإيمــان وكتبي ومولفاتي وتخيلي للمستقبل وكل هذا المجهود، إزاي الكـائن المصـــري برضـــه لســـه بيفكر في حل بـالعفـاريـت والتعـاويـذ والســـحر والخرافـات حـاجة تجنن بجد، فعلا الكائن المصـري، سـبحان الله كائن عجيب، يؤثر ولا يتأثر.

- أين دور التعليم في ثقيف العقول، العلم الـذي يرتقي

بســـمو العقل من قـاع الجهـل والأميـة، التعليم هو أسـاس أي مجتمع، إذا بُنى التعليم على أسـاس سـليم لم تُرَ على الأمد تصـــدعاته، أنا توفيت وأنا أســـابق الزمن في تطوير طرق اســتغلال الطاقة النووية أنا والعالم الألماني ألبرت أنشتاين، إلى أين وصلتم في هذا المجال؟

كان هذا هو سـؤال دكتور مصـطفى مشـرفة وقد خلق حالة من الصـمت بعده، فالعظماء ينظرون إلى الشـباب منتظرينَ الإجابة، والشـبابُ متاخذلونَ ينظرُ بعضـــهم إلى بعض بـاحثين عمّن يجيـبُ على هـذا الســـؤالِ ويصـــدمُهُم، وكان هشـــام هو من يمتلك جرأة الإجابة وهو صاحب أول ضربةٍ هزلية حينما قال:

- يا دكتور مصـطفى الإضـاءة والأجهزة اللي شـغالة قدام حضـرتك دي شـغالة بالمولّد الكهربائي، وإحنا نعتبر كدا مكلفين عشـــان الكهربا ماتقطعش واحنا بنبث على الهواء، الموضـــوع مابقاش مضـــمون للأسف، أظن إجابة سؤالك وصلت.

- أمـا أنـا بقى فمعنـديش غير كلمـة واحـدة، وهي إنكم جيل طروبش، يعني جيل لما يفكر بيزود البلا بلا، أكيد دا نتيجة إنه جيل فلاتي مبصـبصـاتي مايعرفش

حـاجـة عن الحزم والربط، مـاهو لو فيكم حـد نِوِر وبيفهم كـان جـابني مع النـاس البـاشـــاوات الفطاحل دول إزاي، إيش جـاب لجـاب يـا هبـاب منك له له له له له، مين صـاحب الدماغ الألماظات اللي رشـحني عشان أكون حل لملف في دولة زي مصر؟

كان هذا تســاؤلًا من الفنان رياض القصـبجي أفرجَ بِهِ عن صـــمتِـه، وكـانت الإجابة في أعين الشـــبابِ التي اتجهت ناحية علّام وهو يبتســـم في بلاهةٍ مصـــطنعةٍ معلنًا عن نفسِهِ، ثم تقدم خطوة وقال:

- أنا حقول لحضـرتك سـبب اختياري ليك وترشـيحك للملف الأمني.
- الملف الأمني كمان!!! .. كمل يا ترعة المفهومية .. اخترتني ليه؟
- لأن حضـرتك الشـاويش عطية الفرد الأمني الوحيد اللي اكتملت فيه المواصـــفات المطلوبة، شـــرطي منضـبط، محب للخير، مطيع لرؤسـاؤه، عارف إن خدمته للمواطن هي خدمة الوطن، مش بيتساهل مع أي حرامي مهما كان إيه، مش مرتشـي وأمين حتى لو دا في نطـاق دور في فيلم، لكنـه أحســـن رجـل شرطة عرفه جيلنا.

نظر له الفنان رياض محاولًا إقناع نفسه بما يقوله وهنا تقدم الزعيم السادات وقال:

- يا زعماءَ الماضي وعلماءَ الحاضرِ وشبابَ المستقبل، الكلامُ لن يفيد، فلقد وقعنا في هذا الفخّ وما باليد حيلة، دعونا نعمل على ما أحضرونا من أجلِه، فليأخذ كلٌّ منا ملفَّه الخاص وليجتهِد ويخلص فيه لله، فهذا العمل من أجل مصر، مصر في أي زمان، والله الموفِّقُ والمُستعان.

استوعبَ الزعماءُ كلماتِ الزعيمِ السادات، ومالت برأسِها موافقةً وأدركتْ أن بالفعلِ ليس للحديثِ أهمية، فلقد تم استحضارُهُم لمهمةٍ محددةٍ لفترةٍ محددة عليهم أن ينهوها بأفضلِ صورةٍ حفاظًا على تاريخِهِم، وتبقى خطوةٌ واحدةٌ على مهمتِهِم، والتي تكفَّل هشام بشرحِها لهم.

******

"البيانُ الأولُ لمجلسِ المصريينَ العظماء"

أيّها الشعبُ، شعب مصرَ العظيم، لقدْ جِئنا لكم مُجبرين من شباب مصر، شبابٌ منكُم يحلُمون بغدٍ أفضلَ لهُم ولكُم، ولكن بالنسبةِ لنا فهذا ليس إجبارًا ولكنّه أمرٌ كلنا نتمناه، أن نخدمَ هذا البلد ما حيينا، لقد اجتمع الآن أفضل عظماء وعلماء عرفتهم مصر في العصر الحديث، يُشيدُ لهم التاريخُ بإنجازاتهم في الملفاتِ التي كانوا يديرونها، وهذا ما نأملُ أن نحقّقَه في هذا الزمنِ مرةً أخرى، وأنا بصفتي المتحدث الرسمي لمجلسِ العظماء أطلبُ من الحكومةِ أن تتيحَ لنا أن نتولّى تلك المِلفّاتِ ونحاولُ أن نجدَ الحلولَ المناسبةَ لها، فلا نريد أن يضيقَ صدرُ الحكومةِ بتواجدِنا، اسمحوا لنا إن نكونَ ضيوفَكُم لمدةِ عشرين يومًا لا أكثر، ونحن نعدُكم بأن نكونَ ضيوفًا خفافًا، فمهمّتُنا تحليلُ الأزماتِ واقتراحِ الحلولِ فقط، ولكُم أنتُم الحريةَ في تنفيذِها إذا ما نالتْ رِضاكُم، فرجاءً منا أن تسمعوا صوتَ الشعبِ الزاحفِ بالملايين في شوارعِ المحروسة، وأن تعطونا تلكَ الفرصةَ أن نكونَ يدَ العونِ لكم، أشكُركُم، واللهُ الموفِّقُ والمُستعان".

- شايف يا حضرة الرائد سامح بيه وصلنا لفين بسبب

شـــوية العيال اللي مش عاجبينك، البيان دا بقاله ٣ ســـاعات بيتذاع من القنوات اللي اتقرصـــنت لكل نشرات الأخبار العالمية، الناس صدقت اللي حصل والميادين اتملت بيهم وبيطالبوا الحكومة بالموافقة على إننا محتاجين شوية عفاريت لناس ميتين عشان ينقذونا، أنا ما أنكرش إني مُنبهر باللي حصـــل ونِفســـي فعلاً يكونوا لينا طوق النجاة ماحدش يكره الخير يا سامح للبلد دي ودا كمواطن مصري، لكن كرجل زمن اللي حصل ده مهزلة.

وقفَ سامح يتصبّبُ عرقاً، يبحثُ في عقلِهِ عن إجابةٍ تنقذُهُ من هذا الموقف، فجاوبَه محاولًا تخفيف الموقف ولكن بشيءٍ من الثقة قائلاً:

- يا طارق باشا، حكومتنا لا غبار عليها، ودا حيديها ثقة زيادة عن الأول، لأن مجلس المسوخ الأموات دا محكوم عليه بالفشل من قبل ما يبدأ، الموضوع يا باشا مش في القيادات بس، والحل في تغيرهم وخلاص حتى لو كانوا زعماء كُبار وليهم تاريخ زي دول ، الموضوع في تغيير الهيكل من تحت لفوق مش من فوق لتحت لما الشعب يتغير يا باشا للأحسن ساعتها حاتحس بالخير وتشوفه في البلد دي وهو يعني المسئولين

الحالين منين حضرتك؟ ماهو من نفس الشعب برضه يا باشا مش من كوكب تاني عشان تغيره يغير كل شئ.

نظرَ له اللواء طارق وعيناه تلمعُ من الغضبِ والإحباط الواضح من نبرة سامح ولكن بداخله هو مقتنع نسبياً بما قاله سامح، مَدّ يده لاحتساء القليل من عصيرِ الليمون الذي أمامه وهو ينظر لسامح محاولًا أن يداري ارتياحَه لما سمع، حتى وقفَ من مقعدهِ بمكتبه واتجه ناحيةَ الأريكة بجانب مكتبته الخاصة وجلسَ وهو يقول له:

- يعني أنت شايف إن الحكومة حتوافق على الهبل اللي حصل ده؟
- وحتدعمه كمان يا باشا.
- تدعم؟! ليه هو في مصلحتها للدرجة دي؟
- طبعًا معاليك، ماتزعلش مني يا باشا فشل التجربة دي حايثَبّت أقدَام الحكومة، وإن المشكلة مش أفراد تكون مسئولة على قد ما يكون الشعب قد التغيير ده.

يقولُ سامح تلك الجملةَ مبتسمًا ليجدَ اللواء طارق يبادلُهُ الابتسامة مع التصديق على ما قاله، ثم يقولُ له:

- شكلك ابتديت تفهم قواعد اللعبة كويس يا سامح وده معناه إن عمرك في العالم بتاعنا طويل مش قصير

زي باقي زمايلك، ابتديت أقتنع بكلامك وأدينا مستنين الأوامر، آخر أمر وصل سيبوهم وماحدش يقرب منهم لحين إشعار آخر.

وهنا يرن جرسُ هاتف المكتب ليقومَ اللواء طارق من جلسِتِه متّجهًا إلى مكتبِهِ مسرعًا فهذا هو الخطُّ المباشرُ بالسلطة العليا، ليرفعَ سماعةَ الهاتفِ ويجيبَ فتظهرُ علاماتُ التعجبِ ثم الاستحسان ثمَّ ينظرُ للرائد سامح وهو يُغلق الهاتفَ ويقول:

- طلع عندك حق يا سامح، الحكومة وافقت على مجلس الأموات دا ومديالهم كل الصلاحيات اللي هما عايزنها لمدة ٢٠ يوم تبدأ من النهاردة وحيتذاع البيان بعد ٥ دقايق بالكلام دا في التليفزيون الرسمي.
- قولتلك يا باشا، الحكومة ذكية ومش حاتخسر خطوة زي دي.
- أنت اللي حتمسك ملف المجلس دا لحد مايتقفل يا سامح.
- حيتقفل يا باشا قريب أنا واثق.

******

بعد مرور ست ساعاتٍ على اجتماعِ مجلسِ المصريين العظماء مع الحكومةِ وطرحِ الحكومة المشاكل التي

تواجهُها بكل شـفافيةٍ بالطبعِ مدروسـة، خرج المجلسُ وهو يعلمُ من أين يبـدأ، واتفق كريم على أن يرافقَ الزعيم السـادات ومحمد على باشـا، ويرافقَ هشـام الدكتور مصـطفى محمود والدكتور مصـطفى مشـرفة، ويكون علّام مع الكابتن صـالح سـليم والفنان رياض القصـبجي وأن يكونوا جميعًا اليدَ اليُمنى لهم، وتنحى سـمير ونبيل عن المشـهد وأرادوا أن يتجنبوا الظهورَ ورأوْا أنهم قاموا بدورِهِم عى أكمل وجهٍ وأن الباقي من خطواتٍ ليس من اختصاصِهِم ولن يكونوا إضافةً في تلك المرحلة.

كان أول البادئين من المجلسِ في التحركِ هو الثعلبُ المتلون، كان يلوّن بالإنجازات، وقت الحرب حرب، وقت الاتفاق معاهدات، أما الخبرةُ في السياسة فقدْ لوّن نفسـه بالكياسـة، وبتعامله مع الأحزاب كما ما قال الكتاب، إنه الزعيم أنور السـادات فلقد اتجه مباشـرةً بمرافقة كريم إلى معتقلِ العقرب السياسـي بعد أن أخذ موافقة المسـئولين بما سـيقومُ بفعلِه، وأمام كاميراتِ التصـويرِ العالميةِ والمحلية، أخذَ ببلطةِ المطافي وأخذَ يكسـرُ سـورَ المعتقل، ثم يأمرُ حراسَ البواباتِ لتفتحَ أبوابَهَا ليخرجَ الشـبابُ المعتقلون من داخل المعتقلِ وينظروا أمامهم غير مصـدقين، ثم ينتقلُ إلى

الإعلاميين الحاضـــرين مِن كلِّ بقاعِ العالم ماســـكِين بميكروفوناتهِم فيقول:

- بسـم الله ... أبنائي، يا كل فصـيلٍ مصـري، إنه بيدي بعدَ عزمِ اللهِ أغلقتُ المعتقلات نهـائيًـا، ولن يعتقلَ إنســـانٌ بعد اليوم، دعونا نبدأ في بناءِ الديمقراطية، نكونُ صـوتًا لكل مظلوم، نبدأ من جديدٍ بناءَ أحزابٍ سياسية، ذات مرجعيةٍ مصـريةٍ، مصـرية فقط، وأنا من مكاني هذا سـأبدأ بإعلانِ تأسـيسِ الحزبِ البلدي الديمقراطي، تحت رئاســـتي وتوجيهاتي، هيا نبدأ، ودعونا نعملُ في صمت.

جاء الردُّ بهُتافٍ عالٍ وتصـــفيقٍ ســـمعتهُ الثعابين في الجحور، ثم طلبَ أن يجلسَ مع الشـــبابِ فقط، مع كل فصـــيلٍ على حدة، وكانت البدايةُ مع شـــبابِ الثورةِ أو ماتبقى منها، وكان كريم فردًا منهم فبدأ السـادات حديثه قائلاً:

- أبنائي .. يا من قُمتُم بأطهرِ عملٍ شـــعبي، يجبُ أن نكونَ أهلًا للمســـؤولية، وأنتوا يعني في الزعامة الانتخابية ســـمعت كلام مش ولابد، مين يبقى زعيم ومين يتكلم ومين يرد، دي نقطة ضـــعفكم حاولوا تكونوا جســـم بعقل واحد ومليون دراع، التنظيم هو العلاج وتحديد الأولويات دا شـيء مافيهوش مزايدة،

عايزكم حزب قوي ونشـاطكم قدام العالم مُعلن، أنتم أولادي، أنتم المستقبل، إحنا معتمدين عليكم.

كانت تلك الكلماتُ مُلهمةً وحماسيةً لمَسَهَا شبابُ الثورةِ وأشـعلت حماسَـهُم بشـكلٍ كبيرٍ، ولكن عند دخول باقي شـبابِ الفصـائلِ كانت الصـدمة هي الشـعورُ المسـيطر على كريم، فعندما دخل شـباب الأخوان كان حديثُ السادات كما يلي:

- أبنائي .. يا من قمتُم بأطهرِ عملٍ شـعبي .. يجبُ أن نكونَ أهلًا للمسـؤوليـة، وأنتم يعني في الزعـامـة الانتخابية سـمعت كلام مش ولابد، كنتم تابعين بدون عقل ولا تفكير، دي نقطة ضـعفكم حاولوا تكونوا جسـم بمليون عقل يفكر ويبدع لكن بيد واحدة قوية، التنظيم هو العلاج وتحـديـد الأولويـات دا شـيء مافيهوش مزايدة، عايزكم حزب قوي ونشـاطكم قدام العـالم مُعلن، أنتم أولادي .. أنتم المسـتقبـل، إحنـا معتمدين عليكم.

يتكررُ الحديثُ مع تغييرٍ بسيطٍ في المضمونِ وعندما انتهي من الاجتماع بكلِ الفصائلِ، ذهبَ ليجلسَ بمكتبِهِ بجوارِ قاعةِ الاجتماعاتِ فتبعه كريم سائلاً:

- يا ريس يا ريس، ممكن أفهم إيه اللي حصل النهاردة؟

وقفَ السادةُ ينظرُ له وهو يدخّن غليونَه وعيناه تبتسمُ، ثم أسنَدَ يدهُ على كتفِ كريم وسار به وهو يقول:

- عارف قصـــة عم مرزوق اللي كانت بتيجي في الإذاعة زمان.
- بتاعة السلطانية يا ريس؟
- الله ينور عليك يا كريم.
- أهي السياسة زي أصحاب الجزيرة بالظبط، الجزيرة اللي حتديك فلوس ومجوهرات ونفوذ، عشـان تاخد الكنوز دي لازم تكدب وتوعد وتنافق وتقدملها كل دا في السـلطانية، لكن حتعمل ذكي وشـريف وتعاند معاها حتاخد أنت منها الكدب والوعود والنفاق.. يعني حتاخد منها إيه؟
- السلطانية.
- السياسة أقذر لعبة ممكن تلعبها في حياتك يا كريم، أنا حخليهم يلعبوا سـياسـة وهحاول تكون بأنضـف الطرق، بس اللي يستحمل ويقدر يكمل.

ثم اتجه السادات ناحية المكتب وأمسك ببضع أوراق وأعطاهم لكريم قائلاً:

- دي الوثقية التشريعية للأحزاب السياسية عايزك بعد ما تقراها تبعتها لكل وسائل الإعلام تذيعها وتنشرها،

وأديني رميت بَكَرِة الخيط للقطط، حنشـوف حيلعبوا إزاي بيها ولا حيتعاركوا عليها، إقرا يا كريم.

أمسك كريم بالورقِ وهو ينظرُ إلى السادات مستشعرًا الاستياء والتشاؤم من الخطوات القادمة فتنهّدَ حزينًا ثم بدأ يقرأ:

" الوثيقةُ التشريعيةُ للأحزاب السياسية"
لا ينمو وطنٌ بدونِ قوانين وتشـــريعات تحكمُهُ وتقوّمُهُ، ولوجودِ تلك التشـريعات يتوجّبُ وجود مجلسٍ تشريعيٍ مبنيٍ على تعددِ الأحزاب والأراءِ ولذلك يجب عليَّ أن أضـعَ بعضَ البنودِ والقوانين التي يجب الالتزام بها كما يلي:

أولًا: تُحلُّ جميعُ الأحزاب الحالية على أن تبدأَ الأحزابَ بدايةً جديدةً ومختلفةً في تأسيسِ نفسِها على أن تكون أحزابًا لا دينية ولا طائفية ولا عنصرية.

ثانيًا: يُسمحُ بتأسيسِ خمسِ أحزابٍ فقط مختلفة الأيدولوجيات تكونُ برئاسةِ الشبابِ وبأعضاءٍ شبابٍ فقط من سن ١٨ حتى ٤٠ عامًا على أن يؤسّسَ مجلسٌ استشاريٌ داخليٌ لكل حزب، يتكونُ

من ١٢ فردًا لمن يزيد سنُّهُم عن ٤٠ عامًا للاستفادةِ من خبراتهم.

ثالثًا: يقدِّم كلُّ حزبٍ في أوراقِ تأسيسِهِ مشروعًا خدميًا للوطنِ على مرحلتينِ في التنفيذِ، كلُّ مرحلةٍ مدتُها عامان، ويُحلُّ أي حزبٍ لم ينتهِ من مشروعِهِ بشكلٍ كاملٍ حسبَ كل مرحلة محددة مسبقاً.

رابعًا: تبدأ الانتخاباتُ البرلمانيةُ بعدَ ٤ سنواتٍ من الآن بعدَ الانتهاءِ من المشروعاتِ الخدميةِ في تأسيسِ الأحزابِ حتى يكونَ للمواطنِ الحقُّ في اختيار حزبٍ عمِلَ من أجله ٤ سنواتٍ متواصلةٍ وليس وعودًا وهميةً قبل صناديق الانتخاب فقط.

خامسًا: الحقُّ الانتخابي مكفولٌ لكلِّ مواطنٍ متعلمٍ بحدٍ أدنى تعليم متوسط.

سادسًا: يحقُّ فقط لأي مواطنٍ مصريٍ حاصلٍ على شهادةٍ جامعية خلال العشرين عامًا السابقة أن يترشَّح كعضوٍ نيابيٍ عن دائرتِهِ من خلال حزبِهِ فقط.

سابعًا: يحقُّ للدولةِ تعيينَ ٤٠ عضوًا من الكفاءاتِ والخبراتِ التي تعملُ على وزنِ وتصحيحِ آراءِ

الشبابِ الأعضاءِ إلى الأفضل.

ثامنًا: بعد الانتهاءِ من العمليةِ الانتخابيةِ، تؤسَّسُ حكومةٌ ائتلافيةٌ من جميعِ الأحزابِ المشاركةِ بنسبةِ أعضائهم الناجحين بالمجلسِ النيابيِ على أن تنتهي مدة تلك الحكومةِ بعد أربعِ سنواتٍ مع بدايةِ المرحلةِ الانتخابيةِ النيابيةِ الثانية.

تاسعًا: هذه الوثيقةُ غيرُ قابلةٍ للتعديلِ بالحذفِ أو بالإضافةِ ويتم قبولها كما هي أو رفضها بشكل كامل .

عاشرًا: تتجهُ أهدافُ جميعِ الأحزابِ أن تكونَ هادفةً إلى خدمةِ الوطنِ ولَيسَ إلى خدمةِ فرد، ودعائي لهذا الوطن بحياة سياسيةٍ هادئةٍ مليئةٍ بالديمقراطيةِ الناجحة.

المسئول عن الملف السياسي بمجلس المصريين العظماء

الرئيس السابق محمد أنور السادات"

******

خرجَ كريم من الغرفةِ مُمسكًا بوثيقة الزعيمِ السادات لا يعرفُ هل يتفاءل أم يتشـــاءم؟ هل بالفعل ســـتتم تلك الإصـــلاحات بشـكلٍ كاملٍ دون أي عقبات؟ انتابت تلك المخاوفُ كريم حتى قال لنفسه:

- دخلنا في الجدّ وربنا يســتر، أنا عارف إحنا شــعب مالوش كتالوج، وعلى رأي الشــاعر البوهيمي "من أجمل ســـمات بلدي .. لا تعرف من أين الخازوج يأتي .. ولكنك ســتعيش مخزوجًا مخزوجًا مخزوجًا يا ولدي".

وأثناء سيره في الطرقات توقف فجأةً لسماعِهِ صوتًا يشبهُ كسر زجاج أتي من غرفة محمد علي باشا فتوجه مسرعًا ناحيتهُ وفتح بابًا ليجدَ محمد علي باشا ينهج بشدةٍ وعيناه محمرتان وعلى الأرض بقايا كأسٍ مكسورٍ، وعندما شعر بوجودهِ رمقه بنظرةِ غضبٍ ثم قال:

- أنت فالد إزاي تدخل حضــراتونا بدون اســتئذانات مافيش أدب مافيش سلوكيات؟!
- أنا آســف معاليك أنا ســمعت صــوت الكســر قلقت وحبيت آجي أطمن بس مش أكتر.

- أنا قلت أتكلم حيوان؟! يعني اللي في جِناب رأسك دي أُذن تســـمع بيها ولا زايدة جلدية تم افتتاح حفرهم بصوباعك حيوان؟!
- أنا أسف معالـــ
- تاني حيوان، يعني ما في أُذن وما في مخ كمان، أنا أتكلم، أنـا آمر، أنـا أمنح، أنـا أمنع، أنـا أقولـك تتكلم فتتكلم فـالد، أخرج بره وخبط ثلاث خبطات وتخلي الحفرتين اللي في دماغك تســـمعني لما أقول أدخل فتدخل ساعتها حيوان، يلا يلا.

بـالفعلِ يتراجعُ كريم مـانعًا غضـــبَـهُ أن يظهرَ محاولًا تقديمَ الاحترام اللازم له حتى وصـــل إلى البابِ وخرج وأغلقـه مرةً ثـانيـةً وانتظر ثلاث ثوان، ثم بـدأ نقّـذ مـا طُلب منه، دق ثلاث دقات على الباب وانتظر عدة ثوانٍ حتى سمع صوتَه من الداخل يقولُ له:

- أدخل حيوان.

وبالفعل دخل كريم راسمًا ابتسامةً زائفةً منحني برأسه قليلًا حتى وصلَ له ثم قال:

- معاليك تؤمرني بحاجة.

أمسـكَ السـلطان محمد علي طرفَ شـاربِهِ بيده اليمنى وهو يطالعُ كريم ثم نظرَ له باستحسان قائلاً:

- عفارم عليك فالد، لازم يبقى في شـوية أدب شـوية ذوق، مش حيوان داخل حظيرات.
- أنـا بعتـذر لمعـاليـك وأوعـدك مش حتتكرر تـاني، تؤمرني جنابك بحاجة قبل ما أمشي.
- أنا أديتك أذونات حيوان تمشـي أو لأ، روح هات قلم وورقيات عـايزك تكتب فرمانات من حضـــراتونا للحكومة والشعب.

يدور كريم للخلفِ مـأفئفًا حتى يصـــل لطرفِ المكتب ويحضـــر من عليه القلم وبضـــع أوراق ثم يشـير بيدهِ يستأذنه في الحديثِ فيميل السلطان رأسهُ بالموافقة:

- ممكن تســـمحلي جنـابك أقعد عشـــان أكتب اللي حضرتك تؤمرني بيه؟
- بالطبع تفضل.

يجلسُ كريم وهو ينظرُ إلى محمد علي باشا الذي مازال يبرُمُ في طرف شـــاربِهِ حتى بدأ الحديث قائلًا بعد أن تنحنح قليلاً:

" فرمان سلطان عالي للمعالي"
عملُ الـدولـةِ في المرحلـةِ القـادمـةِ هو أن تكونَ شـــريكًا في كلِّ عمليةٍ صـــناعيةٍ أو زراعيةٍ أو تجـاريـةٍ تتمُّ على أرضِـــهـا ولكن دونَ أن تجني

على أحدٍ على حسابِ أحدٍ فالكل سواسية، الحكومة، وأصحاب الأعمال، والشعب.

البندُ الأول: الاستثمارُ في الدولةِ ولمدة ٨ سنوات من تاريخِهِ مقتصِر على "استصلاح الأراضي الصحراوية، ومزارع الثروة الحيوانية أو الدواجن أو الثروة السمكية، ومصانع تطوير المواد الخام المنتجة والمستخرجة من الدولة، ولا يمنح ترخيصٌ لغيرِ ذلك إلا إذا كانت منشأت خدمية لتلك الاستثمارات فقط.

البندُ الثاني: تبدأ الزراعة بعدة مراحل:
*المرحلةُ الأولى: ومدتها عامان يتم من خلالها إعلان الاكتفاء الذاتي بزراعة المحاصيل الزراعية الأساسية الضرورية للمعيشة، ويتم إلغاء زراعة أو استيراد أي محاصيل غيرها.
*المرحلة الثانية: ومدتها عامان يظل الاكتفاء الذاتي مستمرًا ولكن باستصلاح أراضٍ جديدةٍ تمامًا وسوف يُسمحُ في تلك المرحلةِ بزراعةِ المحاصيل ذات الطلبِ العالمي للتصديرِ وسوف يتم اختيار المساحات المطلوبة للزراعة حسب جودةِ التربة وكفاءةِ العاملين بها وتقييمِ جودةِ المحاصيل خلال المرحلةِ الأولى.

*المرحلةُ الثالثة: ومدتها ٤ سنوات يتم اختيار عددٍ من المحاصيلِ الجديدةِ تضاف إلى لمحاصيلِ الأساسيةِ لزيادةِ التنوعِ في السوق مع الثباتِ على تصديرِ المحاصيلِ ذاتِ الطلب العالمي وتستطيع أراضينا أن تنتجَ محصولًا ذات تنافس قوي.

البندُ الثالث: الأراضي المملوكةُ للدولة ليست محلًا للبيع، ولكن يتوفر حق انتفاع لأي مستثمر لا يزيد عن ١٠ سنوات ولا تُستغل الأرض إلا للزراعة فقط وإذا تم استغلالها في شيءٍ أخر غيرِ ذلك يتم الحجز على الأرضِ ودفعِ غرامةٍ تصل لثمن الأرض بالكاملِ ولا تقلُّ عن نصفِها (يتم احتساب ثمن الأرض حسب سعر السوق في وقت اكتشاف المخالفة).

البندُ الرابع: يتم إعفاء كل مستثمر في الأراضي الزراعيةِ من الضرائبِ خلالَ المرحلةِ الأولى ويستمرُّ الإعفاء إلى المرحلة الثانيةِ حسبَ جودةِ محاصيلِهِ في المرحلةِ الأولى.

البندُ الخامس: إعادة تأميمِ كلِّ المصانعِ التي تمَّ تخصيصُها خلال الثلاثينَ عامًا السابقة، وسوف

يتمُّ سـدادُ المبـالغِ التي دُفِعت من أجلِهـا إلى مُستحقّيها كمساحاتٍ أراضٍ بحق انتفاعٍ لمدة ١٠ سنوات للاستثمار الصناعيّ فقط، على أن يكون نشـاطُ تلك المصـانعِ الجديدةِ هو استغلال الموادِ الخامِ المسـتخرجةِ من الدولةِ سـواء كانت مواد خـام بترولية أو زراعية او حيوانية او سـمكية بدلًا من تصديرِها كموادٍ خام أولية فقط.

البندُ السـادس: يُمنحُ الإعفاء الضـريبي لكل مستثمر صناعي لمدة ٣ سنوات ولكن يُشترط لمنحِ هذا الإعفاءِ بناءُ معهدٍ فنيٍ تدريبيٍ يكفي بحدٍ أدنى لمائـةِ طـالـبٍ يكملوا تـدريبهم العملي بـالمصـنعِ ويُمنحُ سـنـةً إضـافيةً من الإعفاءِ الضريبي بعد تعيينِ ٥٠ طالبًا متخرجًا من معهدِ مصنعِه بحد أدنى، وإذا خالفَ المستثمرُ أحد تلك الشروط يُحجزُ على المصنعِ لمدةِ عامٍ يستلمُ في نهايتِهِ نصـف ماتم بيعُهُ من إنتاج مصـنعِهِ، وإذا تكرَّر هذا الخطـأ يُحجزُ على المصـنعِ لثلاثـةِ أعوامٍ ويُمنحُ في نهايـةِ كل عامٍ ربع مـا تم بيعُهُ من إنتاجِ مصنعِهِ.

البنـد السـابع: يُعـاد فتحُ المعـاهـدِ الزراعيـةِ والصـنـاعيةِ مرةً أخرى وتُفتح صـباحًا لطلبةِ

المرحلةِ الثانويةِ ومساءً للحاصلينَ على تعليمٍ متوسطٍ أو عالٍ (طلبة التعليم المفتوح كما تسمونهم) العاطلين منهم فقط وتكون شهادتها معتمدة ويُقبلُ التوظيفُ بها في الهيئاتِ الحكومية.

البندُ الثامن: يتمُ الاتفاقُ مع وزارةِ المعارفِ على غلقِ كليةِ التجارةِ والحقوقِ والتربيةِ والأدابِ لمدة ٦ سنواتٍ لكفاية الخريجين العاطلين منها حتى الآن لإشغال الوظائف المطلوبة خلال تلك الفترة إذا وُجدت، وتجهزُّ مباني تلك الكلياتِ لاستقبال طلبةِ التدريبِ الصناعي والزراعي لدراسةِ النظري والعملي إذا أمكن.

البندُ التاسع: تُعطى مهلةٌ مدتُها شهرٌ للتجارِ لتصفيةِ المخزونِ من البضائعِ الموجودة بمخازنهم وسوف يتم الإعلانُ بعدَ ذلكَ على قائمةِ السلعِ والبضاعةِ المتاحةِ للإتجارِ بها وسوفَ يحدَّدُ لها سعرٌ ثابتٌ للمستهلكِ يُعلنُ في نشرةٍ يوميةٍ ولا يُسمحُ بالإتجار في سلعٍ أخرى أو التلاعبِ في الأسعارِ المُعلنة، وأذا حدثَ ذلك يتم الحجز على مخازنِ التاجر ومنافذ البيع التابعة له ويحرم من متابعةِ النشاطِ لمدةِ عام على أن يتسلمَ كل شهرٍ نصفَ ما تم بيعُهُ من

بضـــائعِهِ فقط، وإذا تكرر ذلك يُحجزُ عليه مرةً أخرى ويُحرمُ من التجارةِ لمدةِ ثلاثِ ســـنواتٍ، ويستلمُ ربعَ ما تم بيعُهُ فقط.

البندُ العاشـــر: تُحســـبُ الرواتبُ والأجورُ بمبدأ الراتبِ مقابلِ الإنتاج، لكل عاملٍ حدٍ أدنى من الإنتاجِ يؤخَذُ عليه الراتبَ وأقلَّ منه يخصـــم من راتبِهِ، وبحد أقصـــى من الإنتاج يســـتحق عنه مكافأةً تشجيعية.

البنـدُ الحـادي عشـــر: تُلغى جميعُ الأجـازاتِ الموسـميةِ والرسـميةِ ويسـتعوضُ عنها بمكافأةٍ ماديةٍ مقدارها راتب شـــهر في نهاية كل عام، ويســتثنى من ذلك العطلة الأســبوعية يوم واحد بالإضـافة إلى سبع أيام أجازة سنوية تؤخذ بشكل منفرد وليســـت مجمعة بحد أقصـــى ثلاث أيام متتالية.

البندُ الثاني عشـــر: يتم إنشـــاء "شـــرطة أمن الاقتصـــــاد" وهي المســـؤولـة عن مراقبـةِ المســـتثمرين والمزارعين والتجـارِ ومـدى التزامِهِم بـالقوانين أعلاه وكتـابـة تقـارير بـذلـك،

ويمتلك قوة ضـبطية بمسـاعدة رجال الشـرطة وسـوف يتكون من الخريجين المتفوقين خلال العشرين عامًا السابقة والذين لا يقل تقديرهم عن "جيد"، ولكن عاطلين عن العمل وسـوف يتم تدريبُهُم سـتةَ أشـهرٍ في أكاديميةِ الشـرطة، ثم شـهرين في كل من وزارة التجارة والصـناعة والزراعة، وبعد ذلك يتم تعيينُ الأكفأ منهم.
لم يشـمل هذا الفرمان جميع الإصـلاحات المطلوبة ولكن به النسبة الأكبر من الإصلاحات الضـرورية، أدعوا الله بالتوفيق لنا ولكم والعيش بحياةٍ كريمةٍ، دعونا نتحمل كثيرًا الآن لنتحملَ الأقل بعد ذلك، بإذن الله.

المسئول عن الملف الاقتصادي
محمد علي باشا

أنهى كريم كتابةَ الفرمان بعد تعديلِ صـيغتهِ ليكونَ ملائمًا للّكنة واللّهجة الحالية حتى يسهل على مستمِعِيهِ الفهم، ثم نظرَ إلى السلطان محمد علي مبتسمًا وعيناه يملؤها التفاؤل قائلاً:
- أنا بقيت متفائل جدًا معاليك بالفرمان دا واللي فيه، ربنا يقدرنا ونقدر نطبقه في الواقع.

تتسعُ حدقةُ عينِ محمد علي ناظرًا لكريم مستغربًا من أخرِ كلماتِهِ ويراقبُه وهو ينصرفُ بعدَ أن سمحَ لهُ بالانصراف.

******

في الغرفةِ المجاورةِ كان الدكتور مشرفة يجلسُ يشربُ قهوتَهُ في بُطء وهدوء مستمعٍ لحديثِ هشام عما يمكنُ تنفيذُهُ في حلِّ أزمةِ التعليمِ الحاليةِ وأمامهم يجلسُ الدكتور مصطفى محمود مدخنًا السيجارة منصِتًا بتركيزٍ لهذا الحديثِ حتى بدأ الدكتور مشرفة بحديثِهِ بعد أن أنهى قهوتَهُ ووضعَهَا على المنضدةِ أمامه قائلاً:

- اسمحولي يا زملائي الأجلاء أن أعلنَ أن حلَّ أزمةِ التعليمِ تتلخصُ في ثلاثةِ محاور، محورِ المدرسة، محورِ المنهج، محورِ المعلم، لو استطعنا أن نتكاتف ونوجد حلول للمحاور دي، حنقدر نبني جيل متعلم متطور ذاتيًا لأن هذا الجيل سيكون هو صاحب القرارات التي سوف تنهي على تكرار تلك الأزمات، فبدون علم لا يوجد مستقبل، وبدون مستقبل لا يوجد أمان، وبدون الأمان تصبح الدولة مثل الغابة تنقسم فيها الكائنات إلى صائد وفريسة أو أصحاب سلطة وأصحاب لا شيء.

أشاد بحديثِهِ دكتور مصطفى محمود وأرادَ تأكيدَ وتوضيحَ رأيِهِ قائلاً:

- فعلًا أنا مع حضرتك جدًا في الرأي دا، الطفل لازم يخرج من دائرة الأزمة، لأنه نتيجة وليس سبب، حضرتك بتفكرني بفيلم تسجيلي ألماني عرضته في

حلقة سنة ٩٢ متصور بكاميرة دقيقة جدًا أيامها بكل تأكيد عن حياة النبتة، وكأن الطفل هو البذرة اللي لازم تتزرع في تربة صالحة اللي هي المدرسة ولازم فلاح يرعها ودا طبعا المعلم، والماية اللي بيسيقها الفلاح هو المنهج، لو حصل آي خلل في الثلاثة، بتتأثر بكل تأكيد النبتة وتخرج مشوهة.

- ممكن أضيف حاجة على كلام حضرتكم، أنا مع حضرتك يا دكتور مشرفة في نقطة المحاور المؤثرة على الأزمة، وأتفق برضه معاك يا دكتور مصطفى في تشبيهك القوي للطفل والنبتة، بس لو كانت البذرة جاية من ثمرة فاسدة عمر ما النبتة ما حتطلع سليمة، الأب والأم ليهم دور كبير في العملية التعليمة وأوقات كتير بيكونوا هما الأزمة الحقيقة للطفل، لازم نضيف محور رابع وهو أولياء الأمور.

كانت كلماتُ هشام ذا طابعٍ مريحٍ على آذانِ كلٍّ من دكتور مصطفى ودكتور مشرفة وأيدوا إضافته حتى بدأ دكتور مشرفة حديثه قائلاً:

- يبقى لازم نبدأ بوضع عدة قرارات مبدئية وأولها رفع نسبة الإنفاق العام على التعليم في الموازنة العامة للدولة إلى ١٠٪ وتستمر في زياة سنوية

بمقدار ١٪ لتصل بعد ١٠ سنوات إلى ٢٠٪، وثاني قرار هو إلغاء النظام المعوَّق المسمى بالثانوية العامة نهائياً.

قفز هشام مهللًا سعيدًا ثم طافَ حولَ الغرفةِ رافعًا يديه مثل لاعبي كرة القدم حتى وصل لبابِ الغرفةِ وسجدَ سجدةَ شكرٍ ثم قامَ بتقبيلِ رأسِ الدكتور مشرفة، كل هذا والاثنان الآخران ينظران له بتعجبٍ واستغرابٍ شديدٍ وظهر عليهما الشكُّ في قواه العقليةِ ولاحظ هشام ذلك فضحِكَ وحاولَ تهدئة ملامحِ الريبةِ الظاهرة على وجوهم قائلاً:

- أنا أسف وبعتذر لحضرتك، أصلك ماتعرفش حضرتك قرار زي دا كنا مستنينه بقالنا قد إيه؟ في أجيال طلبة إتفرمت وضاع مستقبلها بسبب النظام ده، وأجيال أولياء أمور حالتهم إتبهدلت وبقت كرب وضاع حلمهم في ولادهم بسبب ضغط النظام ده، ونتيجة الطاحونة الفاشلة دي العك اللي إحنا فيه دلوقتي، أنا كهشام متفائل.
- أنا ممنون ليك على إشادتك بكلامي وسعادتك المفرطة ولكن تلك البداية ولم أكمل بعد، بالنسبة لمحور المدرسة حيتم تحويل ٢٥٪ من المدارس التعليم الأساسي لنظام المدارس الداخلية ملحق

معاها مبيت للطلبة التي تقع المدرسة الداخلية على مسافة تزيد عن ١٠ كيلو متر من منزلهم ومن في محيط أقل من ذلك يكون الموضوع إختياريًا لأولياء الأمور في بداية كل عام وسيكون نظام المدرسة كتالي:

أولًا الدراسة خمس أيام في الأسبوع وعطلة الجمعة والسبت يقضوها مع ذويهم.

ثانيًا يبدأ اليوم الدراسي من الساعة السابعة صباحًا وحتى الساعة الرابعة عصرًا.

ثالثًا يتكون اليوم الدارسي من ٨ حصص دراسية مقسمة إلى (٦ حصص علمية + ١ حصة تربوية وسلوكية + ١ نشاط) مدة الحصة ساعة كاملة وبعد كل ثلاث حصص تؤخذ راحة مدتها نصف ساعة.

رابعًا تنقسم الحصة قسمين، قسم لشرح المعلومة وقسم التطبيق والواجبات، ويساعده المعلم فيه، يمنع بتاتًا أن يطلب من الطالب آي واجبات إضافية يقوم بها بعد انتهاء يومه الدراسي.

خامسًـا يتم اسـتقبال في المدارس الداخلية كل الأطفال الذين وصل أعمارهم إلى ٤ سنوات ويسمى بـ " الجيل الأول " سـيكون هذا الجيل هو أول ثمار التطوير بعد ١٠ سنوات من الآن.

حاول دكتور مصطفى محمود مقاطعته قائلاً:

- آسـف لو قاطعت حضـرتك لكن بالنسـبة لموضـوع مجانية التعليم حضـرتك شـايفه إزاي؟ لإنه موضوع شائك من فترة طويلة تزيد عن نصف قرن.

صـمت قليلًا دكتور مشـرفة ثم نظرَ لهشام وكأنهُ ينتظرُ منه سؤالًا لكن وجد هشام ينظرُ إليه متلهفًا منتظرًا منه إجابةَ سؤال دكتور مصطفى فأخذ نفسًا عميقًا وقال:

- المجانية من وجهة نظري حتبقى للمرحلة الأساسية فقط مرحلـة "البنيان" كما أفضـل تسـميتها واللي مدتها ٥ سنوات دراسية، بعد ذلك في مرحلة التأهيل (المرحلـة الإعداديـة) ومدتها ٣ سـنوات، ومرحلة القيادة (المرحلة الثانوية) وهي مدتها سـنتين سـوف يطبق بهما نظام المنح المخصـصـة للطلبة المتفوقين دراسيًا وأخلاقيًا والموهوبين فقط.
- آسـف لو قاطعتك يا دكتور طب وبالنسـبة للمدارس الخاصة الاستثمارية حيبقى وجهة نظرك إيه؟

- يا دكتور هشـــام يا عزيزي مافيش حاجة اســـمها اســـتثمـــار في التعليم والربح فيـــه يبقى فلوس، الاستثمار في التعليم والربح فيه يأتي من اختراعات متطورة للمســـتقبل، اللي عـايز يســـتثمر في العلم يســـتثمرها في البحث العلمي أو في مدارس بتدي حـاجـة مـاتقلش أهميتهـا عن الميـا والهواء والتغذيـة لأى طفل ودول لازم يبقوا بـالمجـان أو بتكلفـة قليلـة لكن اللي ســـمعتـه منـك دا بقى نـادي أو ملهى ليلي بإشتراك خيالي بيدفعه ولي الأمر عشان إبنه ينشغل عنـه ٩ شـــهور في الســـنـة ونص يومـه مش معـاه وتترجم بعثة إبنه في الأخر بشهادة بإمضاء صاحب الملهي عشان يتفاخر بيها الوالد.
- الحل إيه طيب يا دكتور مشرفة نقفلها أحسن يعني؟

ابتسم دكتور مشرفة وقال للدكتور مصطفي مازحاً:
- يحِظك يا دكتور مصـــطفى، مش لدرجة غلقها يعني أنـــا محتـــاج الأرض والبنـــايـــة بتجهيزاتهـــا وطـــاقم التدريس بتاعها أما غير كده مش عايز وعشـــان كدا حأصدر قرار بالحجز علـي جميع المدارس الخاصة والتجريبية والاســتثمارية لمدة ١٠ ســنوات وســيتم التعويض لهم بنصـف قيمة الأرض والبنايات حسب سعر الدولة ويتم الدفع على أقساط سنوية بعد سنتين

من الآن وسوف يُمنعُ إعطاءُ تصاريحَ ببناءِ مدارسَ خاصـةٍ نهائيًا إلّا بعد تخرُّجِ الجيلِ الأول وبشـروطٍ معينةٍ تتفقُ مع المحاورِ الأساسيةِ وتطويرها.

وقف هشام وانحنى احترامًا لتحية الدكتور مشرفة على قراراته ثم أشار بيديه الاثنين راسمًا كرة كبيرة وقال:

- وبالنسـبة للقنبلة الكبيرة.. المناهج اللي من حضـارة ٧٠٠٠ سنة دي، لازم نفجرها بأي شكل.
- بص يا دكتور هشام لازم كلمة تطوير المناهج يكون تطوير في أسـلوب شـرح المعلومة مش بس في تغييرها، وأنا شـايف أن يتم إلغاء الرسـوب في مرحلة البنيان نهائياً، حيث إنها مرحلة يجب أن نحبب الطفل في أن يطلب العلم كما يطلب الطعام والشـراب، تكون رغبته في تحصـيل المعلومة لأنه يلمسها في الواقع وليس فقط كحروف على صفحات الكتب، سـوف تتواجد بالتأكيد اختبارات، ليسـت لنجاحه أو رسوبه وإنما لمعرفة نسبة تحصيله من المعلومات وهل سـبب المشـكلة المعلم أم هو؟ وما ميوله؟ دورنا أن نكتشف مميزات كل طفل وننميها؟ ونعرف ما ينقصـه ونحاول نكمله أو نجعله يسـتغله بشكل صحيح.

علميًا لكل مرحلة عمرية هناك قدرات شـــخصـــية وســـلوكيـة وعلميـة يجـب أن تتوافر في كـل طفـل طبيعي، ولكل مســـتوى ذكـاء حجم من المعلومـات يكفيـه، نعرف مـا يميز هذا الطفل ما هواياته؟ وهذا ما جعلني أن أقسّـــم المنهج التعليمي لثلاث أقســـام وذلك بمســـاعدة الخبراء اليابـانين وســـيتم تحت إشـرافهم بكل تأكيد، أولاً منهج علمي حسـب عمر كل طفل وقدرة اسـتيعاب عقله من المعلومات، ثانيًا منهج تربوي وســـلوكي فلا يجـب أن نـدرس الـدين حتى نتحدث عن الأخلاق والتربيـة، لأننـا إذا ذكرنـا الأخلاق والصفات الحميدة كمدخل للمعلومة سيكون الـدين هو مصـــدرهـا من خلال قصـــص الأنبيـاء والرســـل في مختلف الأديان فيجب أن أربط الطفل بســـلوكيات وأخلاق دينـه حتى يدرك أنـه يجب ألا يســرق حتى يكون مثل النبي محمد صــلى الله عليه وسلم موصوف بالصادق والأمين وليس لأنه يخاف أن تقطع يده، إنه يجب أن يُكرِمَ الضـــعفاء ولا ينفر منهم كما كان يفعل النبي عيسـى عليه السـلام، يتعلم أن يرغب في الجنـة وليس فقط أن يخـاف من النار، اســتخدام أســلوب الترغيب وليس الترهيب، فجميع الســـلوكيـات والأخلاقيات مهما زاد التطور العلمي ستبقى أساسها الدين.

أما ثالثًا فهي الأنشـــطة فيجب أن يمارس الطفل أي نوع نشـــاط يفرغ فيه طاقته ويكتشـــف من خلاله مايميزه وما النعمة التي وهبها الله له، أي نشـــاط رياضي ثقافي فني علمي قيادي، فيجب أن يكون لنا دور في اكتشاف وتنمية موهبته.

شعر هشام هنا بإحساسين متناقضين، انبهاره بفكرة المنهج المقسّم وخوفه من صعوبة تطبيقه فحاول أن يستوضح أكثر منه حتى لا يفقد الأمل فقال:

- بالنسبة للفكرة في تطبيق المناهج دي ودرجة ارتباطها بالنجاح والسقوط حيكون إزاي عشان دا حيفرق كتير في نجاحها وآسف لو بحبط حضرتك لكن الواقع فظيع.

رسم الدكتور مشرفة ابتسامةً بسيطةً ثمّ أجاب:

- زي ما قُلت سابقًا إن في المرحلة البنيان أو الابتدائية سيتم إلغاء الرسوب فيها ولكن سيكون هناك اختبارات لقياس نسبة تحصيل الطفل من المعلم ودراسة أسباب انخفاض نسبة تحصيله، ويعتبر الناجح في هذا النظام الجديد من يكون تقديره في المنهج العلمي لا يقل عن مقبول وفي المنهج

التربوي جيد والأنشـــطة جيد، ويمنح منحة مجانية للتعليم لمدة عام في المرحلة الإعدادية والثانوية من يحصـــل على تقدير لا يقل عن جيد جدًا في الثلاث مناهج .. فبذلك سيخرج جيل متميز علميًا وسلوكيًا وموهوبًا مهما كانت موهبته ســـوف يجدنا لدعمه وتميزه فيها.

بـالنســـبـة للغـة الإنجليزيـة، يتم تقســـيم منهج إيلتس"IELTS" على ١٠ أعوام لدراســته بشــكل كـامـل بـديلًا عن المنهج المتعـارف عليـه حـاليًـا في المدارس حتى يقوم الطـالـب بـالحصـــول على تلك الشـــهادة قبل دخولـه الكلية وهذا لن يتحقق إلا من خلال هذا النظام.

ويتم عمل برلمان صـــغير لكل مدرســـة مكون من أمناء الفصـول المرشـحين بالانتخاب ويقوموا بعمل اجتمـاع شـــهري لبحـث المشـــاكـل والمقترحـات بحضور مشرف من المدرسة ومشرف من الوزارة، ويتكون برلمـان أكبر لكل محافظة يكون أعضـــاؤه من رؤساء البرلمانات الصغيرة يعقد اجتماعه كل ٣ شـهور بحضـور مشرف من الوزارة لبحث المشاكل والاقتراحات وذلك لبث الثقافة السياسية الصـحيحة

بين الأطفال منذ الصغر.

حاولَ الدكتور مصطفى محمود سؤالَه، ولكنه تراجع فلاحظ الدكتور مشرفة ذلك فقال له:

- شكل حضرتك يا دكتور عايز تقول حاجة، اتفضل دا شيء يشرفني وأكون ممنونلك بكل تأكيد، اتفضل يا دكتور.
- متشكر لذوق حضرتك يا دكتور، حضرتك كل الكلام خاص بجيل عنده ٤ سنوات قدامه عشر سنين في تطبيق نظرية حضرتك اللي مافيش جدال عليها إنها من أروع النظريات العلمية الحديثة في تطوير التعليم، لكن بالنسبة للجيل الحالي اللي في المدارس حاليًا حيكون مصيره إيه؟
- سيتم الإعلان عن توقّف الدراسة لمدة عام لإعادة تأهيل المدارس والمعلمين والطلبة وسوف تسمى بعام التطوير، على الطلبة والنظام القديم في مرحلتي الإعدادية والثانوية أن يقيموا ويحدّد مستواهم في اللغة الإنجليزية من خلال الاختبار الأون لاين على موقع جامعة كامبريدج البريطانية، وخلال هذا العام يجب أن ينهي اختبار ٤ مستويات إضافية والدراسة سوف تكون أون لاين فقط ويشترط ألا ينتقل إلى العام الدراسي القادم إلا بتقديم

شـــهادة اجتيـازه لأربعـة مســـتويـات من جـامعـة كامبريدج.
أما عن الطلبة الباقين في المرحلة الابتدائية ســـوف يطلـب منهم بحـث من خلال زيـارة ١٠ أمـاكن تاريخية يقدم البحث ومرفق معه عدد من الصور له في تلك الأمـاكن التـاريخيـة لا يقل عددهـا عن ٢٠ صـورة مختلفة في تلك الأماكن التاريخية ويقوم كل طفل بعمل فيديو يشـرح فيه زيارته ثم يقوم بمناقشـة البحث وشـرحه أمام أحد مشـرفي الوزارة في نهاية العام.

- كلام رائع دكتور مشـــرفة نيجي للفلاح اللي ممكن يخرب كل دا حضرتك حتعمل إيه معاه؟
- بص يـا دكتور هشـــام زي مـا ضـــرب الـدكتور مصـــطفى مثـال إن الطفل نابتة ولم يتأثر بالعوامل الســـلبيـة التي حولـه خريجين كليـة تربيـة خلال العشـرين سنة اللي فاتوا ولم يوفقوا في عمل تربوي حيكونوا همـا النبتـة اللي حشـــتغل عليهـا، زراعـة معلمين يليقوا بـالنظـام الجـديـد، ســـوف يتم عمـل دورات تـأهيليـة للنظـام الجـديـد لهم خلال عـام التطوير، واختيار الأفضـل منهم علميًا ونفسـيًا لتلك المهمة، وإذا كانت الضرورة تستدعي الاحتياج لعدد إضـافي من المعلمين للمدارس الداخلية التابعة للنظام

الجديد يمكننا فتح الباب للمعلمين الذين يمارسون التعليم بالمدارس ولكن عليه أن يتفرغ لمدة عام كامل وينجح في الاختبارات النهائية.

أما بالنسبة للمعلمين الباقيين، سيتم خلال هذا العام عمل دورات علمية ونفسية وسوف يتم اختبارهم اختبارين بشكل دوري يتكرر كل عام بعد ذلك قبل الدراسة، الأول علمي في المادة المتخصص فيها والثاني نفسي، ويجب أن يجتاز الاثنين بتقدير لا يقل عن جيد جدًا في العلمي وجيد في النفسي حتى يعود للتدريس مرة أخرى، وإذا رسب يتم استبعاده من الوظيفة حتى اختبار العام القادم.

وبعد الانتهاء من عام التطوير ومع بداية العام الدراسي القادم تُحذف من المنهج جميع المعلومات التي ليست ذات فائدة حقيقية ولا يُستفادُ منها في العصر الحالي، ويجب على كل طالب تسليم شهادة اجتيازه مستوي إضافي في اللغة الإنجليزية مستخرجة من جامعة كامبريدج البريطانية قبل بداية العام الدراسي كل عام، وبالنسبة للخريجين من كلية التربية الذين لم يتم اختيارهم في المدارس الداخلية حسب النظام الجديد، يتم تشكيل لجنة

تضـــمُّهم تـابعة للإشـــراف الياباني وليس للوزارة وتسمى بـ "لجنة مراقبة الانضباط"، ووظيفتها أولًا تفتيش المدارس وعمل تقارير عن كل زيارة ويتم توزيعهم بشـــكل متغير كل فترة ولا يؤخذ بتقرير ضد مدرسة إلا إذا أجمعت ثلاث تقارير مختلفة من أفراد مختلفين من اللجنة على تلك النقاط، ثانيًا عمل اختبار مفاجئ خلال الترم الأول لطلبة المدرســـة يكونوا هم المراقبين فيــه لتقييم المعلمين ودرجــة تحصـيل الطالب منهم وذلك يعكس مسـتوى الإدارة المدرســية في متابعة المعلمين وإذا لم تتعدى نســبة النجـاح ٦٠٪ يُعـاد الاختبـار في الترم الثـاني وإذا تكرر التقييم تُستبعَد الإدارة المدرسية لمدة عام حتى يتم تأهيلها لتلك الوظيفة.

يحاول الدكتور مصــطفى أن يكملَ ما يســرده الدكتور مشرفة وكأنهُ يستنتجُ ما يفكرُ فيه قائلاً:

- اللي فهمته من كلام حضــرتك وبالأســلوب دا إنك حتطبقـه على أوليـاء الأمور عشـــان الكل يتحرك بخطوات منتظمة نســبيًا كمحاولة لترميم الشــروخ المنتشـرة اللي تفشـى بشـكل كبير في النظام العاجز دا.

أمال الدكتور مشـــرفة رأســـه موافقًا بنظرةِ إعجابٍ بالدكتور مصطفى وهو يؤكد حديثه قائلاً:

- بكل تأكيد سيتم عمل دورات تثقيف سلوكي وتربوي قبل بداية كل عام لأولياء الأمور لتأهيلهم للتعامل مع الطالب والحفاظ على ما اكتسبه بالمدرسة والتحفيز عليه، ويشترط أن يجتازوا الاختبار النهائي بتقدير لا يقل عن جيد حتى يتم قبول ابنهم في المدرسة لدخول العام الدراسي الجديد.
- شابوه دكتوري العزيز.
- وبكدا يبقى يا عباقرة قدرنا نخطط لتطوير المحاور الأربعة بشكل كويس جدًا .. بشكل خرافي.

قالها هشام متفاخرًا بما انتهوا إليهِ وذهبَ لإعداد كاميرا الفيديو لتسجيل قراءةِ الدكتور مصطفى مشرفة لخطةِ التعليمِ المتطورة التي أنهوا جميع النقاط بشأنها حتى يرسل هذا التسجيل لجميع القنوات لإذاعته.

******

بعد أن أنهي هشام تسجيلَ البيانِ الرسمي من الدكتور مصطفى مشرفة الخاص بتطويرِ التعليم، خرجَ من الغرفةِ واستأذن الدكتور مصطفى محمود الدكتور مشرفة لأنه يريد أن يسيرَ مع هشام قليلاً، وبالفعل خرج الاثنان من مبنى الضيافةِ الملكية ثم أسندَ الدكتور مصطفى يده على كتفِ هشام قائلاً:

- هو مبنى الإذاعة بعيد عن هنا كتير.
- لا هو يدوب تلت ساعة بالعربية.
- طب ممكن نمشيها مع بعض، عايز أفتكر تاني لما كنت بمشي في شوارع البلد دي، يمكن دا يساعدني علي التفكير، وأدينا بنتكلم مع بعض.
- دا شرف ليا حضرتك، اتفضل.

وبالفعل تحرك الأثنان بخطوات راكزة وأخرج الدكتور مصطفى سيجارةً من جيبِهِ وأشعَلَها فبدا هشام متوترًا بسؤاله عندما قال:

- لو تسمحلي حضرتك يا دكتور أنا شايف حضرتك من ساعة ماقبلت مجلس الوزارة وبالأخص مع وزير الصحة وحضرتك ساكت حتى لما قعدنا مع الدكتور مشرفة كان كلام حضرتك محدود، أسف على تطفلي.

أخرج دخان سيجارتِه وهو ينظرُ أمامَه بهدوءٍ ثم مال برأسه ناحية هشام راسمًا ابتسامةً خفيفةً تحاول أن تخفّفَ ما ظهر ولاحظه هشام ثم قال:

- ما أكثر ما تعلمته على سرير المستشفى.. فعلًا للأسف، الأزمة كبيرة وحلها بيلف في دماغي بس مين حيقبل الحلول دي، حل الأزمة يا هشام له أبعاد كتير، وكل بعد له تفاصيل أكتر، وكل تفصيلة عايزة زمن لفكّها، عندنا مستشفيات حكومية خالصة ومستشفيات خاصّة ماصّة، دكتور ممتاز ودكتور امتياز، تمريض قسم شحاتة وتمريض قسم تشريح، تجارة أمراض وتجارة أعضاء، أمراض مزمنة وأمراض ميراثية، أدوية بتعالج وأدوية عايزة تتعالج، الكمال لله وحده والمرض للجميع.

لم تستطع ملامح هشام أن تُكذِّبَ كلمات الدكتور مصطفى بل كانت مؤيدةً له بكثير من اليأس حتى قال:

- حضرتك قُلت كل حاجة أنا للأسف دكتور في مستشفى حكومي والوضع مأساة بس أكيد في حلول تقدر تخفف الأزمة دي.
- أنت متخيل يا هشام أن وزير الصحة معندوش ثقة في أي حاجة في بلده من أول المياه لحد الأكل والهوا وهو جايبهم استيراد وتعقيم وفلتر، لأنه

عارف وفاهم مقدار الوباء الصحي اللي في البلد.

- يعني مافيش أمل يا دكتور، أنا كنت رامي أمل على حضـــرتك في حلول للأزمة دي وأنا كل المشـــاكل اللي حضـــرتـك قُلتهـا، بس قُلـت يمكن يكون مع حضرتك فكر جديد.

توقَّف الدكتور مصطفى ورمى سيجارته على الأرضِ وأطفأها بقدمه ثم أمسك بكتفِ هشام قائلاً:

- بص يا هشام أنا كتبت قبل كده في كتاب لغز الموت "القشـــة في البحر يحركها التيار والغصـــن على الشـــجرة تحركه الريح والإنســـان وحده هو الذي تحركـه الإرادة"، الحلول موجودة وأنـا دوري إني أقول الحلول دي، أنتم جـايبينّي عشـــان كده، وأنـا حكون على قدر المسـؤولية يا هشـام ماتقلقش، بس حبيت أتناقش معاك، لكن أنت صـــح أنا لازم أقوم بدوري وهو إني أحط خط تمشـوا عليه ودا سـاعتها دوركم أنتم ربنا يعينكم.
- متشـكر يا دكتور وأنا أوعدك إننا حنعمل اللي علينا عشان ننفذ خطة حضرتك.
- الموضـــوع مش خطة ولا حاجة الموضـــوع حلول ثنائية لكل مشـــكلة، يعني مشـــكلة المســـتشـــفيات الحكومية منتهية الصـــلاحية، نعمل لها انتداب لوفد

طبي من ألمانيا يشكل لجنة تكون مسؤولة عن المستشفيات الحكومية وتحدد تكاليف إعادة إنشاء وتجهيز المستشفيات دي حتى تكون صالحة لتقديم علاج آدمي، وهنقوم بتمويل التجديدات دي من خلال أخذ ضعف الضريبة من المستشفيات الخاصة خلال الـ ١٠ سنين القادمة، أو أن تختار المستشفيات الخاصة أن تساهم في تجديدات اللجنة الألمانية المشرفة على تطوير المستشفيات الحكومية بمنح لا ترد ولا تقل عن تجهيز ١٠٠ سرير وغرفتين عمليات مختلفة وصيدلية كاملة حسب المواصفات المحددة من اللجنة فقط وعلى أساسها تعفى من الضريبة الجديدة لمدة ٣ سنوات.

- وبكده حضرتك خلال سنتين أو ٣ سنين حيقبى عندنا فعلًا مستشفيات ينفع تعالج مريض وتحترم الدكتور اللي طلع عينه وعين أهله عشان يبقى دكتور.

ابتسم الدكتور مصطفى من تفاؤل هشام قائلاً:

- اللي اتجدد الحجر بس أما البشر اللي حيبقى مع الحجر دا تعديله أصعب من اللي فات.

انحنى هشام برأسه من اليأس وبعد أن استيقظ من

غفوته قائلاً:

- عندك حق والله يا دكتور حضـــرتك بتقول فيها!، ممكن تلاقي دكتور شـــاطر فعلًا بس مدفون وســـط طقم دكاترة نفسيتهم وحقدهم واستغلالهم مهما كانوا كبار مايســـاووش طالب امتياز، الدكتور دا يا بيبقى زيهم عشـــان يقدر يعيش وســـطهم، يا إما يدوَّر على سفر وغيرنا يستفاد بيه.
- أنا معاك جدًا إن الدكاترة المصـــريين من أشـــطر الـدكـاترة في الـعـالـم الـعربـي ودا اللي بيخليهم مطلوبين، لكن ليـه الطبيـب الهنـدي اتميّز عنـك، عشـان هما عارفين إن وظيفة الدكتور شـيء مقدس لخدمـة البشـــريـة بيكون مركز احترام وتقدير من الجميع، الـدكتور الهنـدي عـايز يبقى طبيـب من صـــغره، هنـا الـدكتور نقطـة تفـاخر للوالـدين فقط، عملت طبقيـة في المجتمع، بقت كلية القمة عشـــان أتفاخر بيها، مســـمى كليات القمة مش موجود غير في مصـــر للأســـف، هي بقت قمة عشـــان درجة التفاخر اللي بيكسبه صاحبها هو أهله، مش لصعوبة دراســـتهـا مثلاً، لأن في أمريكـا كليـة الحقوق من أصـــعب الكليات دراســـة وتعتبر فعلًا من كليات القمـة، حل أزمة الدكتور إنه يكون طبيب نجاحه في ٣ ســـنين التكليف مرتبط بتقريره عن كـل مريض

وتقريره الشهري عن خدمة التمريض معه وتقريره عن إدارة المستشفى ودرجة السلامة بالمستشفى وتقرير عن الدكتور المشرف، أما عن الأستاذ الدكتور القديم حيشرف على تدريب دكتور امتياز المكلف.

- معاك حضرتك جدًا بس لازم برضه عدد الكليات يزيد، العدد المتخرج غير كافي.
- لازم طبعا يا هشام لكن مش دلوقتي.
- طب ومأساة قسم التمريض اللي ممكن تضيع أرواح دي حلها إيه؟

توقف الدكتور مصطفى وأشارَ لهشام أن يقتربَ ليساعدَهُ على الجلوسِ فوق كرسي متهالك بمحطة أتوبيس مهجورة وبعد تنهيدة طويلة قال:

- دي فعلًا مأساة، وظيفة مالهاش علاقة باللي بيحصل، بقت أسلوب شحاتة رخيص وممكن يوصل للابتزاز وطلب إتاوة وكأننا في رواية الحرافيش للأديب نجيب محفوظ، ابتزاز رخيص قدام خدمة ممكن تسعف أو تنقذ روح بني آدم والجزء الأحقر منهم اللي بقى شغال صبي جزار، اللي بينظف ويقسم الدبيحة حسب ما اللي شاريها عايز، مافيا وعصابة على كبير، ودي حلها من

وجهة نظري هو حلها من جذورها، إعادة تأهيل جميع قسم التمريض مع اختبارات علمية ونفسية وأخذ نسبة منهم لا تتعدى ١٠٪ من المتميزين والمقبولين في اختبارات إعادة التأهيل وتسمى "إشراف تمريض" ويتم عمل عقد عمل لمدة سنة فقط وتعاد الاختبارات بشكل سنوي، ويدخل الجميع تلك الاختبارات، فتلك الوظيفة ليست حِكرًا على أحد ولا ملكًا لأحد، المعايير اللي تناسب الوظيفة دي هي المعايير اللي حتحطها اللجنة الألمانية.

- طب وباقي العدد حضرتك حتقدر تغطيه إزاي؟
- مافيش حنمشي في اتجاهين الاتجاه الأول حنزود في كليات طب قسم للتمريض وحنسميه تمريض "ب" و دا حيقبل كل واحد حامل لشهادة عليا وحصل على دورة إسعافات خلال أخر ١٠ سنين وبيدرس سنة تمريض في الكلية والسنة الثانية يطبقها من خلال العملي في المستشفيات تحت إشراف تمريض "أ"، أما تمريض "أ" ودول طلبة معهد وكليات تمريض حيبدأ التوزيع على المستشفيات وتكملة دراستهم من خلال العمل مقابل مصاريف الدراسة وحيكون تحت مسئولية قسم "إشراف تمريض" وطبعًا طقم التمريض دا كله بيتنقل تعيينه بشكل دوري مرتين في السنة وتكون

مسؤولية توزيعهم على اللجنة الألمانية فقط.

- فعلًا عند حضرتك حق لازم الرقابة تبقى مش مننا، للأسف مابقاش في ضمير، ولو موجود مابقاش مضمون صلاحيته.

- ودا اللي خلاني أقول في الأول انتداب وفد ألماني لمدة ١٠ سنين يكون مسؤول عن المستشفيات من تجهيزات وتوظيف وتقييم وطبعًا لازم كل ركن في المستشفيات دي يكون تحت مراقبة الكاميرات ويكون في كل مستشفى أعضاء من اللجنة مشرفين على إدارة المستشفى ككل عشان، وإحنا للأسف بقينا بنخاف من البني أدمين أكتر ما بنخاف من اللي خلقهم وخلقنا، وزي ما كتبت في كتاب من الشك إلى اليقين "الفضيلةُ صفةٌ إنسانيةٌ وليست حِكرًا علي دينٍ بعينِهِ ولا على مجتمعٍ بعينهِ ولا شخصٍ بعينِهِ، ولم تكن في يومٍ من الأيامِ خاصةً بنا نحن المسلمين دونَ سوانا، فلدينا نحن المسلمين من يحاربون الفضيلةَ أكثرَ من بعضِ دعاتِها في الغربِ لكنّنا الأولى بكل تأكيد"

******

أنفاسٌ سريعةٌ تتصارعُ دونَ توقفٍ وخطواتُ أقدامٍ لثلاثة أشخاصٍ تكاد تلامس درجاتِ الدرجِ حتى وصلوا لبابٍ حديد، فأخرج أحدُهم سلسلة مفاتيحِهِ يحاول أن يعثرَ من بينِ أشعةِ الشمس الهاربةِ من فتحاتِ السقفِ الصغيرةِ على المفتاحِ المقصود وسطَ أصوات الأنفاسِ الهائجةِ الناتجةِ عن صعودِ هذا الدرجِ بتلك السرعةِ يقطعُها بين الحين والأخر صوتُ سعالٍ خشنٍ متقطع، عثُر على المفتاحِ أخيرًا ودخل ثلاثتُهُم متعكزين على بعضهم بعضًا، فوجدوا أنفسهُم بداخل غرفةٍ لا تتعدى مساحتُها ستة أمتار، بها أربعة مقاعدَ خشبيةٍ واحدٌ منهم فقط صالحٌ للاستعمال شبه الآدامي وبجوارهم مقبرةٌ جماعيةٌ لكومةٍ من أعقابِ السجائرِ وأعلاهُم ثلاثُ نوافذَ مفتوحة ترحبُ بأشعةِ الشمسِ التي احتلت النسبةَ الأكبرَ من أرضياتِ وحوائطِ الغرفة، فذهبَ أحدُهُم دونَ اكتراثٍ بالباقي ليجلسَ على هذا المقعدِ واكتفيا الآخران بأن وضَعا ظهرهما على أقربِ حائطٍ لهما، وبعد أن مرت عشرات الثواني استطاعوا فيها تهدئةَ نبضاتِ قلبيهما السريعة، حتى كَسَرَ علّام هذا الصمتَ قائلًا لمن يجلس على المقعد:

- الحمدلله يا صالح باشا عرفنا نفلت من الألتراس اللي واقفين على باب الإستاد بأعجوبة ولولا إني عارف طريق غرفة المراقبة بتاعت الأمن دي اللي

في أخر الإستاد كانوا لاقونا والحمدلله أنت والأستاذ رياض بخير.

فألتفتَ كابتن صـــالح ســليم الجالس على المقعدِ منفعلًا قائلاً:

- بخير؟ .. أنت مش شايف البهدلة اللي اتبهدلتها؟! إيه اللي حصـل لشـباب مصـر ليه بقيتوا بالهمجية دي، الإســتاد اللي قدامك دا طول عمره شــايل شــباب وأطفال وناس كبيرة كانوا بيجوا عشان يفرغوا كبت أو يعبروا عن حبهم للنـادي أو للمنتخب، طول عمر الدوري فيه منافســة لكن ماحدش مات بســبب حبه لكورة هوا، اللي ســمعته منك يا علّام بجد دمّرني، رابطة مشــجين تموت ودمهم يتحفر على كراســي الإســتاد أو وهما داخلين الإســتاد، وليه عكروا الرياضـة لما دخلوا السياسـة، السياسـة لعبة بتنجس أي حد منها أومال اللي مش منها حيبقى إيه.

حاولَ علّام أن يهدئ من روْعِ الكابتن صالح بقولِه:

- ودا سبب اختياري لحضرتَك لأني واثق إنك حتقدر تحل الأزمة دي بحلول صــارمة وموزونة وعادلة في نفس الوقت.

اتجهت حدقة عين كابتن صـــالح ناحية علّام ونظر له في حدَّةٍ وقال:

- فعلًا لازم تبقى قرارات قويـة وأولهـا حـل جميع الاتحـادات الريـاضـــية، وتـأســـيس اتحـادين واحد للألعـاب الجمـاعيـة والتـاني للألعـاب الفرديـة وعمل مجلس لكل لعبة تابعة للاتحاد بتاعها ويكون أعضاء المجلس من أفضـل ٥ لاعبين تم تقييمهم من الاتحاد الدولي للعبة خلال أخر ٢٠ سنة.
- وبكده فعلًا نبقى خلصـنا من امبراطورية الاتحادات الإدارية اللي قراراتها بعيدة تمامًا عن أي مصـــلحة للريـاضـــة أو للاعبين، طب حضـــرتك بالنســـبة لموضـوع الألتراس حتلغيه ولا حتسـيبه ولا حيكون رأي حضرتك إيه؟

نهضَ كابتن صالح من مقعدهِ وتقدَّم عدةَ خطواتٍ ناحية النافذةِ المطلة على منتصـــفِ الإســـتاد وتنفس ببطء ثم تنهّدَ وقال:

- زمان كان صـلة المشـجع بالإسـتاد ممكن تكون حُبه للكورة، بيحـب فعلًا النـادي اللي بيشـــجعـه، متعلق بلعيب معين، بيفرغ كبت جواه، كان ممكن سـاعتها تمنعـه بـأي حِجـة أو قرار غبي حيتـاخـد وقتهـا وخـلاص لكن دلوقتي اللي بيربطـه بيـه دم، ودا صعب إنك تقطعه مهما كان.

- يعني أفهم من حضـــرتك إنك حتســـيبه موجود في الساحة؟
- دا مافيهوش كلام، بس حنقيده بشـوية نظام، ابنك لو غلط عمرك ما حتقتله لكن حتعاقبه أو حتفرض عليه قيود عشــان مايغلطش تاني، ودول شـباب صــغير ولازم تخاطب عقلهم، إحنا حنديهم الشـــرعية إنهم يأســـســـوا اتحاد مشـــجعين لناديهم بشـــكل قانوني ويكونوا هما فعلًا أعضاء رسمين مسجلين باتحادهم وســـاعتها حقدر أخاطب كيان قدامي وقصـــاد دا حديهم مميزات، يعني مثلًا مجلس كرة القدم حيبقى ليـه موقع إلكتروني رســـمي ومن خلالـه حتتعلن مواعيد المباريات و اســم الإســتاد ومن خلاله بس بيتم حجز التذاكر عشــان نضــمن إننا لغينا الســوق السودا خالص ونضمن سلامتهم برضه وحخصص لاتحاد المشجعين ٦٠٪ من عدد التذاكر المخصصة لنــاديهم و٢٠٪ لأعضـــــاء النــادي و٢٠٪ لمُحبي النادي.

بَدَتْ على علّام ملامح السـعادة إلا أنه تذكر شـيئًا مُهمًا فانقلبت ســعادتُهُ لنظرةِ يأسٍ واضــطر لمقاطعة كابتن صالح قائلاً:

- بس لو حصل أي شغب أو صدام أو تلفيات حيكون

الموقف هنا إيه؟ .. أنا أسف لكن أنا شغال هنا وعارف إيه اللي بيحصل وقد إيه الموضوع كارثي.

قاطعهُما الفنان رياض مازحًا:
- ما صالح أفندي قالك يا ترعة المفهومية، حيبقى ليهم كيان، يعني هما المسؤولين عن أي أضرار تحصل بسببهم.

أشار كابتن صالح بيدهِ مؤيدًا لإجابة الفنان رياض وأكملَ قائلاً:
- بالظبط حضرتك والعقوبة حتبدأ من تقليل نسبة التذاكر المحددة لهم مسبقًا إلى ٢٠٪ لمدة مبارتين متتاليتين ودفع تكلفة التلفيات، وإذا تكرر خطأهم تكون العقوبة حرمانهم من حضور ٤ مباريات متتالية بالإضافة لتعويض قيمة التلفيات، حتى حرمانهم ١٠ مباريات متتالية ودفع تكلفة التلفيات وغرامة لا تقل عن ضعف تكلفة التلفيات حتى ٤ أضعاف تكلفة التلفيات المحددة حسب حجم الخطأ والأضرار الناتجة عنه.

أومأ علّام برأسه مبتسمًا قائلاً:
- فعلًا قرار صارم وعادل، أنا كان اختياري صح.

- كده يبقى فاضل أزمتين وحلهم أسهل من اللي فات.
- اللي هما إيه حضـــرتك؟ أكيد الدوري العام من ضمنهم؟
- عندك حق يا علّام دا أول الأزمات وحله في حله بمعنى أصــح يتوقف لمدة ســنة ولما يرجع حيكون مكون من ٣٢ فرقــة لكــل نــادي فرقتين، فرقــة المحترفين الأساسية وفرقة الشباب تحت سن ٢١ ســـنة وتحديد ترتيب كل نادي من نتيجة الفرقتين مجمعة، ويتم اختيار أفضــل ٢٠ لاعب من الدوري بشكل عام تحضيرًا للمنتخب، وطبعًا ممنوع شراء أي لاعب أجنبي، ويتم تخصـــيص ١٠٪ من عقد شـــراء أي لاعب محلي لبناء ٦ ملاعب كرة كبيرة بالصعيد، وفي نفس الوقت يتم عمل دوري للمدارس والمراكز الرياضـــية ويتم اختيار ١٠٠ لاعب منهم تحت سن ١٦ سنة، ويتم تدريبهم بشكل خاص على أن يتم إعفـاء أقـل ٢٠ لاعـب في التقييم من هـذا التدريب كل عام ولمدة ٣ ســـنوات حتى يتم ضـــم المتبقين وهم ٢٠ لاعب لأفضل ٢٠ لاعب بالدوري العام ويتم تحضير المنتخب القومي منهم.

آخر قرار حيخص الدوري العام هو اسـتغلال سـنة التوقف في عمل دورة تدريبية أكاديمية لـــــ ١٠٠ مدرب مصــري لتحسـين كفاءات المدربين على أن

تتكرر كل عامين من بداية الدوري مرة أخرى.

ظهرت على علّام ملامح الانبهار بتلك الفكرة فأسرع بسؤاله:

- وإيه تاني أزمة من وجهة نظر حضرتك؟
- الاهتمام بالألعاب الفردية وتخصيص ٤٠٪ من موازنة الوزارة لاتحاد الألعاب الفردية لمدة ٤ سنوات تشمل معسكرات تدريبية داخلية وخارجية ودعم كل من يحقق بطولة دولية بمنحه منحة تغطي مصروفات تدريبه لمدة عام.

كان تأثيرُ سماعِ تلك الفكرةِ على الفنان رياض القصبجي إيجابيًا بشَكلٍ كبيرٍ، مما جعله يصفقُ له ويتقدمُ مصافحًا قائلاً:

- جنابك حد محترم والله.
- متشكر لذوقك يا أستاذ رياض، ممكن بعد إذنكم تسيبوني لوحدي شوية عايز أقعد أسرح في المنظر دا بعد اللي سمعته في اجتماعنا مع مجلس الحكومة واللي زوده بالتفصيل علّام بقيت محتاج أقعد مع نفسي شوية هنا.

قال هذه الكلمات ثم أفرغ ما بصدره من دخان سجائره

بهدوء ثم أدار ظهره لهما وأشار علّام للفنان رياض أن يتبعه وهو يوجهُ كلامه لكابتن صالح قائلاً:

- براحة حضـــرتك أنا والفنان رياض حنلف شـــوية حوالين الإستاد و نرجعلك تاني.

وبالفعلِ تحركَ علّام والفنان رياض قبلَهُ بخطواتٍ قليلةٍ ثم خرجَ الاثنان من تلك الغرفة وعلّام ممسـكٌ بمقبضِ البابِ ويجذبُهُ ناحيتَه ويراقبُ نظرةَ كابتن صـالح سـليم الصـارمة الباحثة عن شـيءٍ يفقده بشـدة .. شـيء لم يشاهده حتى الآن.

******

يقفُ بثباتٍ وهو متكئٌ على الحائطِ ممسكًا بالجريدةِ يقلبُها دونَ أن يقرأ منها شيئًا ينظرُ من أسفلِ نظارتِهِ السوداء على المارة ولكنه يراقب بوابةَ قسمِ الشرطة الملاصق للإستاد، وعلّام يحاول أن يفهم ما يحدث ولكنه اكتفى بمشاهدة ذلك حتى فقد الأمل في أن يفهم أو يستوعب هذا فقال له متسائلاً:

- ياريت حضرتك تفهميني طلبت مني أشتريلك نظارة شمس سودا وجرنال وواقف بقالك ١٠ دقائق بتبص على القسم وفاضلنا دقيقتين واتنين عساكر ولاد حلال يسحبونا على الحجز ويلعبوا على قفانا دمينو.

نظر له الفنان رياض بغضب ويرتسم على وجهِهِ الاشمئزاز وهو يقول:

- هو بعينه وبغباوته ووشه العِكر، هو أنا يا تلميذ التور يا جهبز عصرك مسكت ملف إيه بعد اختيارك النِوِر ليا.

رد علّام عليه غاضباً:

- الملف الأمني.
- يبقى يا ترعة المفهومية مش محتاجة نباهة، أنا دلوقتي عامل فيها بوليس سري يستعصى على أي بني آدم إنه ياخد باله مني أو يكشفني وبعد ما اللي

سـمعته في اجتماع مجلس الوزارة وسـمعته منك كنت لازم أشوف وأحقق بنفسي.

رفع علّام حاجبَه الأيمن وتتجهُ شـفتاه في نفس الاتجاه وهو يقول ساخراً:

- وحضـرتك فاكر إن النضـارة دي مع قرايتك للجورنال ماخلتش حد يشـك فينا، هو في حد أصـلًا دلوقتي بيقرا جورنال ولو حيقراه حيبقى في شـارع وبعدين حضـرتك الحركات دي انتوا هرسـتوها في ١٥٠ فيلم عربي قديم في الخمسـينات بس وكنتوا أصلًا بتألشوا عليها.

نظر له الفنان رياض نظرة اسـتخفاف و اشـمئزاز بما قاله علّام ثم يقول له:

- بتألشـوا، اسـمها بتألشـوا، كمان ألدغ، هي سـنانك راحت ولا عجزت، اسـمها ًكنتوا بتألّسـوا، قفلت معاك أوي دي شوف غيرها قول بتسخروا، لا لا لا بلاش دي إحنا ناس محترمة، قول بنظهر الشخصية بكل كوميديا.

نظر له علّام مصـدومًا مما قاله وأدرك إنه في صـراع

للحضارات سينهي على ما تبقى من ذكائه وأنه سيكون نكتة أصدقائه وبالأخص كريم لأنه كان اختياره وأصر عليه وأقنعهم به فيجب أن يعرف هل سيكون حلًا لأزمة الأمن بالفعل أم أنهم خسروا فرصة لن تعود بسبب اختياره لتلك الشخصية، فاتخذ قرارًا بأن لا يجادل ولا يناقش ويسير معه كما يريد فحاول أن يرسم الابتسامة متظاهرًا بغبائه قائلاً:

- عندك حق إزاي ما أخدتش بالي، إيه رأيك نقعد على القهوة اللي هناك دي، منها نقدر نتكلم ونراقب بشكل أفضل، ويبقى غيرنا مكان مراقبتنا عشان التمويه برضه.

نظر له الفنان رياض مبتسمًا ونزل بكف يده على كتف علّام مصافحًا قائلاً:

- عفارم عليك يا بلاص الفكر أهو أنت كده عجبتني يلا بينا على القهوة.

عبرا الطريق بأعجوبةٍ حتى وصلا للمقهى ووجدا طاولة بكرسيين فارغين في أخر الرصيف، لكنها تعتبر في منتصف الطريق من كثرة الطاولات المزدحمة لزبائن المقهي، جلسا أخيرًا ويطلب علّام من عامل القهوة كوبين من الشاي الساخن، ولم يعترض

الفنان رياض على طلبه وبدأ حديثه:
- بس يا علّام رغم إني ماعنديش خبرة بمجال الإدارة وكمان متخصصة في وزارة بحجم وزارة الداخلية، وحاسس إن واحد غبي دلقني في البحر عشان أنقذ تؤامه الغبي وأنا مابعرفش أعوم أصلاً، فلازم أطبش وأنقذ نفسي وأنقذ الغبي مش عشان أخوه اللي رماني لا دا يولع بجاز، بس عشان كدا كدا بقيت في البحر ولازم أتصرّف، فاهمني يا ترعة المفهومية؟!!

يرد عليه علّام ضاحكًا:
- تصدق بقى عاجبني الوصف ده، فاهم حضرتك أكيد وعايز أفهم من حضرتك شايف الحل يبتدي منين؟

يداعبُ الفنان رياض شاربه بيديه مُتأملًا ثم يقول:
- أي قرار حقوله حيعتبر مجنون لإني بتكلم في تغيير شامل لشكل البوليس أو الداخلية بقولك إيه أكتب ورايا عشان الكلام مايخدنيش وأنساه.

طلب علّام من عامل القهوة عدة أوراق وأخرج قلمًا واستعد للكتابة ما يقوله الفنان رياض الذي بدأ حديثه قائلاً:
- يجب أن تكون الإصلاحات من البداية من أول

أكاديمية الشـــرطة ومســـتوى الطالب بها يجب أن يكون القبول للطلبـة الحـاصـــلين في الثـانويـة على مجموع ٧٠٪ على الأقل، ويتم إضـافة اختبار نفسي واختبار مســـتوى الذكاء ضـــمن اختبارات القبول ويكون التقييم النهـائي مبني على التقييم التراكمي لجميع الاختبـارات وليس بنظـام المســـتويـات الـذي يكون فيـه اختبـار الهيئـة هو المتحكم في القبول أو الرفض والذي تحكمه الوســـاطة بشـــكل كبير، هذا ويجب أن تضـاف مواد نفسـية دارسـية بالأكاديمية، ويتم عمل أقسـام تخصـصـية من السـنة الثالثة وهي: أمن وحراســـات خـاصـــة، مبـاحث، مرور، قوات مكافحة. وهذا التخصُّص يضمن التركيز للطالب في قسم واحد يستطيع أن يطوّر نفسه ويتم توزيعه أثناء إجراءات التعيين على هذا الأساس.

قاطعه علّام مضيفاً:

- وطبعًـا فكرة التخصـــص دي حتخلـي المواد التخصـصـية متطورة أكتر لأن دي التخصـصـات اللي حتفيد المجتمع بشكل عام.

أشار الفنان رياض برأسه موافقًا وأكمل قائلاً:

- بالظبط.. وأوائل الدفعة ســـيتم تخييرهم ما بين إنهم يكملوا في القسم المتخصصين فيه أو إنهم ينضموا

لإدارة "الرقابة والتقييم" وهي إدارة منفصلة عن وزارة الداخلية، ومتصلة مباشرة بالمجلس الرقابي المكوَّن من وزير الداخلية ووزير العدل ورئيس مجلس الشعب ووظيفتها الرقابة على رجال الشرطة بشكل خاص وسير العمل في الأقسام ومنظومة الأمن بشكل عام وتقديم تقارير بذلك بشكل دوري مستمر".

- فعلًا لازم اللي يراقب ويحاسب يكون من برة المنظومة وبرضه لازم يكون كُفء لدا.

نظر الفنان رياض حوله وظهر على وجهه ملامح الحزن ثم تنهد وقال:

- الشباب اللي عاطل حوالينا لازم نستغله صح، فتح باب للشباب الخريجين حديثًا في أخر ٥ سنوات للانضمام لأكاديمية الشرطة (ب) وبعد ما يجتازوا اختبارات القبول ويقوموا بالدارسة داخل الأكاديمية لمدة سنتين ويتخصصوا بالأعمال الإدارية والتنظيمية ونظم المعلومات الخاصة بالداخلية، وممكن للي مايتوفقش في اختبارات الأكاديمية إنه يقدم في معهد رجال الشرطة بدل معهد أمناء الشرطة، ويكون للحاصلين على تقدير لا يقل عن ٧٠٪ في مرحلة الثانوية ويمروا باختبارات زي

أكاديمية الشرطة للقبول بالكامل وتكون مدة دراستهم أربع سنوات وتكون الدراسة مقسمة لعدة أقسام قوات مكافحة، مرور، أمن وحراسة.

وضحَ على علّام ملامح عدم فهم تلك النقطة بشكل كبير فبادر بسؤاله قائلاً:

- حضرتك تقصد هنا حتلغي معهد الأمناء ولا حتضيف فئة تانية غير ضباط الأكاديمية وأمناء المعهد والعساكر بخريجين معهد رجال الشرطة؟
- حلغي يا علّام أساسيات المعهد القديم وحغير اسمه ويبقى له منهج دارسي مختلف ويتخرج منه مساعدين للضباط على مستوى تعليمي أفضل ودارس الموضوع بشكل أكبر، بمعنى أصح كفاية إن العساكر كلها تبقى "سُمعة" ودول اللي حيبقوا مسؤولين عن وظيفة عسكري الدرك أو عسكري الدورية اللي حيرجع تاني بإذن الله بشباب متعلم وعايز يشتغل.

انقلبت تعبيرات علّام إلى الانبهار بالفكرة ورحّب بها قائلاً:

- تمام جداً، حضرتك كده بتحضر بذرة كويسة من جيل أمني متطور ومتعلم ومحدد مهامه ووظيفته وبكدا يبقى فاضل المشكلة الكبيرة، قسم الشرطة

بكل اللي فيه وبيحصل جواه.

فنظرَ له الفنان رياض وقال:

- إحنا شعب نخاف مانختشيش، حل القسم دا واللي زيه، زي ما هو مأمن نفسه من برة لازم نتأمن إحنا منه من جوه، اكتب ورايا النقطة دي "يجب إضافة نظامًا كاملًا للمراقبة بالكاميرات ٢٤ ساعة لجميع أقسام الشرطة ونقاط الشرطة والمديريات، وسيكون هذا تحت إشراف ومتابعة إدارة الرقابة والتقييم فقط".
- حتى في الحجز؟

قاطعه علّام متسائلًا حتى أجابه الفنان رياض مؤكدًا:

- حتى في الحجز، لازم كل حتة تتراقب بالكاميرات، أمان لينا كمواطنين وأمان للداخلية دا غير إني عرفت من وزير العدل عدد الخريجين الرهيب من كلية الحقوق ورغم تقديراتهم العالية مش لاقيين شغل في النيابة، بسبب دا حيكون اقتراحي دا، اكتب "يتم تخصيص مكتب للنيابة العامة في كل قسم بوكيلين للنيابة ليتناوبا صباحًا ومساءًا لتقليل الضغط على مقر النيابة العامة وتوفير للوقت وتسريع الإجراءات ويعتبر جهة رقابية منفصلة تابعة أيضًا لإدارة الرقابة والتقييم وبالإضافة للاستفادة من

تعيين عـدد كبير من الخريجين المتفوقين المؤهلين لتلك الوظيفة ولكن التعيين النيابي أهملهم.

نظر له علّام وصفّقَ له بيديه وهو يقول:

- فعلًا "حل مالوش حل" كما قال الشاعر البوهيمي.
- متشــكر يا بلاص الفكر، وبكدا حيبقى فاضــل آخر حاجة وأصعبها.

انقلبَ وجهُ علّام لكثيرٍ من الاستغرابِ قائلًا:

- إيه؟ .. إيه اللي فاضل؟

في تلك اللحظة وصـل عامل القهوة ووضـع كوبين من الشــاي وانصــرف بعد أن شــكره علّام وأشــار للفنان ريـاض أن يـأخذ كوبَـه ومد يده بالفعل وأخذ كوبه وأخذ منه رشــفة واحدة ثم بصــقَها كلها مرة واحدة لتســتقر علــي حذاء علّام الذي انتفض من مكانه محاولًا تجنُّبَ مـا حدث ولكنّـه فشــل في ذلك، ونظر الفنـان ريـاض غاضــبًا مشــمئزًا لعلّام ثم للشــاي المحاصــرِ في كوبه قائلاً:

- دا منقوع براطيش مش شـاي أكيد، والسـواد دا لون الجذم اللي منقوعة، الله يقرفك أنت واللي واقف على النصبة، مش عايز أشرب حاجة ولا أقولك!! اشرب الاتنين وسيبني أكمل براحتي واكتب ورايا.

لم يجادلْهُ علّام وعادَ مرةً أخرى لمقعدِ دونَ أن ينطقَ بكلمةٍ حتى أكملَ الفنان رياض حديثَه قائلاً:

- اكتب وأنت ساكت .. "الأزمةُ الحقيقيةُ هي تطهيرِ الداخليةِ من الفاسدين، وهذا سوف يتم من خلال اتخاذ قرار بأن أي ضابط أو فرد أمن تم اتهامه بتهمة تسيء لأدائِهِ الوظيفي أو السلوكي أو النفسي يعود التحقيقُ فيها مرةً أخرى مع إدارةِ الرقابةِ والتقييمِ ويتم إيقافُه عن العمل لحين الانتهاء من التحقيق والبت في أمره، ويتم إيقاف الترقيات لمدة عام، وخلال هذا العام تبدأ مرحلةُ تأهيلِ الضباط وأفرادِ الأمنِ الباقيين تأهيلًا مهنيًا ونفسيًا وسلوكيًا وبدنيًا، وتكون فترة التأهيل تلك هي المقياسُ لتقييمِ من يصلح للاستمرار، ومن سيُنقل للوظائف الإدارية أو يُستغنى عنه بشكلٍ نهائي، أما عن اللواءات فشكرًا جزيلًا لخدامتهم ويتم الاكتفاء بأفضل ١٠٪ منهم للاستفادة من خبراتهم وستكون وظيفةَ تحديدِ الباقيين من اللواءاتِ هي من اختصاص إدارة الرقابة والتقييم"، دا مفهوم التطهير اللي أعرفه غير كدا ماعرفش يا علّام، واختمها بقى وأكتب " لكي يا مصر الأمان".

******

مرَّ أكثرَ من أسبوعٍ ولم يتبقى على انتهاء صلاحيةِ التعويذةِ إلا يومان وكريم وهشام وعلّام مُختفين تمامًا منذُ أن تركوا الحكماءَ ليُعلنوا عن مقترحاتِهِم وبدأ الصخبُ الإعلامي الدولي والمحلي والتساؤل عن سببِ هذا الاختفاء المريب وشكَّك البعضُ في حقيقة هذه التجربةِ من الأساسِ وأنه تم خِداعُهُم بشكل متقَن، ولذلك اضطرَّ مجلسُ الحكماءِ أن يتحركَ بنفسِهِ ويتفقدَ ما يحدثُ بعدَ أن سُمحَ لهُم بالخروجِ والإفراجِ عنهم من الإقامةِ الجبريةِ والمنعِ الإعلاميِّ اللّذانِ تعرضوا لهما منذُ اختفاءِ الثلاثي، وبالفعلِ توجَّهَ محمد علي باشا بعد أن بدَّلَ ملابسَهُ بملابسَ عصريةٍ نوعًا ما إلى مجمَّعِ التحريرِ وقد صُدِمَ من انطباعات ووجوه المواطنينَ الخارجينَ من المجمّع فقالَ في نفسِه:

- هذا مو مجمّع تحرير، هذا مجمع تكفير، كلُّ الخارجين منه يُطلقون اللعنات والدعوات على الموظفين والموظفات، الكُّل كفران من الزحامات والإختناقات.

لم يكملْ تلكَ الجملةِ حتى شعَرَ بكتفِ شخصٍ يمرُّ من خلفِهِ، كان هذا الكتف سببًا في قذفِهِ إلى دائرة من طوابيرِ المواطنين التي سبَّبَها التزاحمُ وقوةُ الدفعِ والاحتكاك، وتسير تلكَ الدائرةِ وِفقًا لقوانينِ الفيزياء

وبالأخص قانون الإزاحة، ظل يدور معهم دون أن يحرّكَ شيئًا في جسده، فهُم جميعًا أصبحوا كيانًا واحدًا يدور في دوامةٍ مثلَ الرحاية، قرَّرَ أن يخرجَ مِن تلكَ الدوامةِ بعد مرورِ أكثرَ من ساعةٍ ونصف وهو على نفسِ الحال، لمحَ أحد المواطنينَ وقد اتضحَ من طريقتِهِ أنه من صاحب خبراتٍ كبيرةٍ في الخروجِ من هذا التلاحُم، ظلَّ يراقبُهُ وهو يسبحُ في هذا التلاحمِ بكتفيهِ يمينًا ويسارًا حتى وصلَ إلى بابِ غرفة معين على أطرافِ تلك الدائرة وقفز ليسقطَ على عتبةِ بابها ويتلاشي من أمامِهِ، وبذلك عرف طريقة الخروج من هذه النهايةِ القاسية، أخذ نفسًا عميقًا وبدأ في السباحة، ولكن كانت موجة البشر شديدة عليه فعافرَ مرةً ثانيةً وثالثةً حتى وصل لطرفِ تلك الدائرة.

وظلَّ ينتظرُ قدومَ الشطِّ أو عتبةِ الباب وبالفعلِ قفزَ بأعجوبةٍ وعندما لمست قدمُه الأرضَ تدحرجَ عدة مرات، وذلك لأنه يفتقدُ لمهارةِ المواطن المصري في القفز من شيء يسير بسرعة على أرضٍ ثابتةٍ أو أقلَّ سرعةً منهُ والتي تعلمها من صعودهِ ونزوله من الحافلاتِ أو القطارات، حاول محمد على باشا أن يلملمَ ماتبقى له من قوةٍ حتى يستطيعَ أن ينهضَ وبعد عدةِ محاولاتٍ نجحَ ونهضَ وهو ينظرُ لمن عبروا من فوقِهِ

ومرُّوا مِن جانبِهِ ولم يعيروه أي اهتمام أو يقتربوا منه ليساعدوه أو يطمئنوا عليه، الكل يرتدي قناعَ المتوفىَّ حديثًا شاردين يشعُّون ببرودًا طاغيًا، مما جعله يقولُ من صدمتِهِ:

- أنا وقعت في جبّانة ولا إيه؟ وجوه ما فيها حياة، أموات يزاحمون أموات.

ظلَّ يتفحصُ الوجوهَ حولَه حتى اقتربَ أحدُهم منه وهو يبتسمُ ابتسامةً مصطنعةً ويحُكُّ فروةَ رأسِهِ ويضعُ سيجارةً على أذُنِهِ اليسرى وهو يتقدَّمُ نحوه قائلاً:

- أؤمر يا باشا، شوف أنت عايز إيه وأنا أخلصهولك، محسوبك "هيما فتلة" الأوفيس بوي ومعايا خلاصة الناس دي، أنت شكلك بيه محترم ومش قد البهدلة كفاية اللي حصلك لحد دلوقتي، أنا أقدر أخلصلك أي حاجة أنت عايزها، بس أنت بقى شوفني بأي حاجة.

رفعَ محمد على باشا حاجبَهُ مستغربًا كلمات هذا المتطفّل واستغرب من طلبِهِ الأخير فحاوَلَ إعادتَه له مستفسراً:

- أشوفك بأي حاجة؟ أنا ما عندي غير عينين اتنين يا

هيما فلاتات أنت.

ضـحكَ قليلًا هيما فتلة ثم انقلب وجهه إلى الجمود وهو يقول:

- هههه حلوة بس ماتكترش منها عشـــان صـــحتك، تشوفني، يعني تشوفني بقرشين، إكراميتي، الشاي بتاعي يا باشا.
- أنت ما مفهوم كلمات، بتقول خرافات تعويذات، أنت بتعمل أسحار فالد؟

ينظرُ له هيما مستغربًا ثم يميلُ رأسه ويديرُ ظهره له وينصرفُ وهو يشيرُ بيديهِ بجانبِ رأسِهِ بشكلٍ دائري , فنظر له محمد على باشا وهو يقول في نفسه:

- كفاية عليا تزاحمات وتلاحمات وقفزات على الأرض وإهانات، أعطيه هذا الفالد دنانير ويسوي هو الورقيات.

فتقدَّمَ ناحيتَه وهو يصيحُ باسمِهِ:

- هيما فلاتات، أنت فالد تعالي.

يلتفت له هيما رافعًا حاجبه متسائلاً:

- عايز إيه يا عم، ربنا يشفيك مش نقصاك لسه الواحد ما استفتحش.

فاقتربَ منهُ محمد علي وقالَ وهو خافضٌ صوتَه ولكن بشيء من الغرور:
- عايز أخلص شوية ورقيات من غير إهانات، وبعطيك سُرة من الدنانير الحر، موافق هيما فلاتات؟

يظهر على هيما ملامح الفرحِ وهو يقول:
- دنانير!! .. الباشا كويتي؟ يا هلا بيك يا شيخ، وأنا أقول لا أنا فاهمك ولا أنت فاهمني، معذور والله يا شيخ، حقك عليا هلا هلا، اتفضل بعون الله، حاجتك مقضية زي المعلقة في مهلبية على رأي الأستاذ البوهيمي، أنت مقامك الريسة "عنايات" هي تخلصلك اللي أنت عاوزه من غير مشاوير.

تقدم هيما بخطوتينِ من محمد علي باشا وأخذهُ في ممراتٍ كثيرةٍ يتزاحمُ بها المواطنون على أبوابِ مكاتبِها حتى يصلَ لبابِ لا يقفُ عليه أحد ويطرقُ البابَ بضرباتٍ ثابتةٍ ليدخلَ مبتسمًا ويشيرُ لسيدةٍ في أواخرِ الخمسينات من عمرِها، تتعلقُ نظارتُها بطرفِ أنفِها وتتناثر الأوراقُ على مكتبِها بأسلوبِ الفوضى

المنظّمة، تُمسِكُ هاتفَها المحمولِ وتتحدثُ فيه وعندما اقترب منها هيما وهمس لها بصوت خافت في أذنيها وهو يشير ناحية محمد علي باشا أصبحت عيناها تتفحصُه بكثيرٍ من الريبة، وعندما انتهى هيما من همسِه لها، مالت برأسها ناحية هاتفها لتقول لمن تحدثه:

- مُنى أنا حقفل دلوقتي وأكلمك بعدين، اسلقي المكرونة عقبال ما أخلص وأقولك الصلصة بتتعمل إزاي قبل ما أشرف دلوعة حماتك يجي، ألا صحيح هي حتجيلكم إمتى؟ .. يا روح مامي، عايز تعكنن عليكي وتشغلك وخلاص، حاجة رخامة، يلا سلام .. بس ماتفتحيش المسلسل لحد ما اجيلك ونشوف الإعادة مع بعض أنا عارفاكي تموتي في حرق الأحداث، طالعة لخالتك كانت مش بتهنيني على فيلم، كانت تخش السيما مع طارق جوزها قبل ما أدخله أنا، وتقعد تحرقهولي وهي عارفة إني داخلاه، مش عايزة أقولك قبل كده كنت رايحة أنا وأبوكي فيلم الدرجة التالتة بتاع سعاد حسني وأحمد زكي كان لسه ساعتها صغنن كده ومش معروف أوي يدوبك لسه لابسين أنا وأبوكي ونازلين وألاقي خالتك في وشي ولسه .. بقولك إيه نكمل كلامنا كمان شوية أصل عندي شغل وإنتي عارفة مافيش غيري في المصلحة، يستلموني من ساعة ما أجي

لحد ما أمشـــي، نحالين وبري بدري بدري، إمتى الواحد بقى يطلع معاش وأخدك يا بت أنتي وجوزك مع إنه مايستاهلش بس عشان خاطرك أنتي ونطلع على الســـاحل نقضـــيها هناك من غير حماتك اللي تقعد بقى تتعوج علينا وتقول الشوكة مش مغسولة كويس، وأشـــرف بيحب مش عارف إيه من إيدها، وأشـــرف بيحب ياكلها كده بس، ونقعد بقى في أشـــرف .. أشـــرف .. لحد ما أشـــرف من دمها هههههههه، يوه تلاقي المكرونة اتسلقت كده هاتيها وحطيها في المصفى وهاتي برطمان الصلصة اللي أنا جايباهولك مش بتاع حماتك وحطي معلقـــ ...

انفجر السلطان محمد من صمته قائلاً:

- هووووو كل دا بتنهي مكالمات، أومال المكالمات كانت إيه، ساعات؟ يا مرضعة الباباجان.

تقف السيدة عنايات وتشيح بيديها له وتقول:

- أنا مرضعة البتنجان يا راجل يا بتنجان!!!

هنا يحاول هيما تهدئتها قليلًا وهو يقول:

- يا ست الكل شيخ طال عمره مايقصدش، الشيخ كويتي وجاي يخلص مصـــلحة هاه، واخدة بالك؟

مصلحة؟

صمتت عنايات ونظرت له ثم نظرت لمحمد علي باشا ثم قالت:

- أنا أسفة يا شيخ معلش اللي مايعرفك يجهلك، حقك عليا هات يا هيما للشيخ فنجان قهوة من البن بتاعي والفنجان يكون نظيف وبيلمع كده وإزازةماية ساقعة من الثلاجة بتاعتي، يلا بسرعة يا هيما.
- من عينيا حضرتك أنتي والشيخ فوق راسي.

ابتسمت عنايات وهي تلتفت لمحمد علي الذي جلس على الكرسي أمامها مرحبةً به قائلةً:

- حضرتك منورنا ومنور بلدك التانية مصر، أؤمر حضرتك عايز إيه وأنا تحت أمرك، بس لعلم حضرتك أنا مش بصَدَّر نفسي في حاجة مش جايبة همها المهم المصلحة تعُم على الكل والكل يستفاد، وأظن أنا كده صريحة معاك.

يُميلُ السلطان محمد رأسَه موضحًا استيعابه لما قالتهُ:

- تشكرات تشكرات.
- أؤمرني يا جناب الشيخ.
- أنا عايز أستصلح أراضي الصحراوات وأعمل

زراعات، وحاقايض بثمن الأرض دي أرض كبيرة بقلعة وحديقات.

- قصد حضرك بضمان الأرض بتاعتك، لو حابب أنا ممكن أشـــوفلك أرض مطرفة ماحدش بيبص عليها ونطلع ورق باســـم جديد، ونقول برضـــه زي ما حضرتك بتحاول تقنعني إنك حتستصلحها، وماشي يا ســيدي حنســتصـــلاحها ونبورها ونبيعها مباني، العملية دي ربحها بيعدي الخمس أضـــعاف، المهم المصـــلحة تعُم على الكل والكل يســـتفاد، وأنا في الموضوع دا مش باخد أقل من ١٠٪ من الإجمالي، وأرضك حنستغلها ونطلع على أساسها كام قرض حلوين، تمام كده!! المهم المصـــلحة تعُم على الكل والكل يستفاد، صحيح فين الأرض بتاعة حضرتك بقى؟
- القلعة.
- فين في القلعة حضرتك أكيد بعد المدافن بقى.
- القلعة .. قلعتي .. قلعة محمد علي.
- قلعة محمد علي؟!

قامت عنايات من مكانها وانقلب وجهها ١٨٠ درجة وظهرت عليها ملامح الافتراس والغضـــب فقالت صارخة:

- قلعة محمد علي مين يا ابن .....

وقفَ محمد علي باشـا واحمرّ وجهُه كالجمر من شِـدةِ غضبِهِ قائلًا:

- غلط في أمهات؟!، غلط في أمهات حضـراتونا يا منبع القاذورات!!!
- أنا قلت إنه بتنجان ومناخوليا وجنان من الأول.
- أنا محمد علي باشا يا مرضعة الباباجان.
- بلا محمد علي بلا أم علي .. يا إبراهيم!!

دخل هيما مسرعًا وخلفُهُ عددٌ من الموظفين وبعضٌ من المواطنين الشرفاء.

- امسـكوا الراجل المانخوليا دا لحد ما مسـتشـفى المجانين تيجي وتاخده.

ينقضُّ رجُلين من الموظفين التـابعين لإدارة السـيدة عنـايات على محمد علي باشـا، ويحاولُ هيما تهدئتها قائلاً:

- اهدي يا سـت عنايات ماتعصـبيش نفسـك أكيد في حاجة غلط.

حاول محمد علي باشا الإفلات من القابضين عليه وقال صارخًا:

- سـيـدة عنـايـات؟ دي من السـيـدات؟ يوك، من الحريمـات؟ يوك، دي من المحرمـات، يـا سـيـدة المرتشيات، يا فساد في فساد.

******

مِثلَمَا فعلَ محمد علي باشـــا فعلَ الدكتور مصـــطفى مشرفة وخَرجَ مِن مَقرّ إقامتِهِ الجبرية بعد الإفراجِ عنه إلى أقربِ مدرســـةٍ حكومية، وكانت مدرســـةُ ســميرة موســى الإعدادية بنات هي سـعيدةُ الحظِّ بتلكَ الزيارةِ، وما أنْ مشى عدةَ أمتارٍ بجوارِ السُّورِ حتى تفاجَأ بحقيبةٍ ســـوداء تســـقُطُ عليهِ من أعلى، أدت لاختلالِ توازنِهِ قليلاً، واسـتطاع أن يسـتعيدَ تركيزه مرةً أخرى لينظرَ لأعلى ففوجئَ بسـقوطِ حقيبةٍ أخرى، وكانت أثقل قليلًا مما سـبقَتْها فأدت لافتراشِـهِ الأرضَ مُجبَرًا، ظَلَّ وعيُهُ يغيبُ تـارةً ويعودُ تـارةً أخرى وهو يشـــاهدُ حركـاتٍ ضـبابيةٍ لأقدامِ شـخصـين يعْتلِيانِ السـورَ وينزِلانِ مِن عليـهِ حتي وقفَـا بجـانبِـهِ، حـاول أن ينهض، وبعـد عـدةِ محاولاتٍ نجحَ بصعوبةٍ واستطاعَ أن يقفَ متعكِّزًا على حائطِ السورِ بجانبِهِ، و هو يسـمعُ همسـاتِ الشـخصـينِ اللذيْنِ ما زالا واقفين بجانبِه، فأمسَـــكَ نظارتَهُ وأخرجَ منديلَهُ الخاص من جيبِ بدلتِهِ التي يجبُ أن يُعادَ عمليةُ تدويرها مرةً أخرى عندَ مغســـلةٍ جيدة حتى تعودَ إلى ريعانِ شبابِها.

أعـادَ نظـارتـه أمام عينيه مرةً أخرى بعدَ أن نظَّفَها جيدًا ليتفاجأ بأنَّ الشـخصـين اللذينِ قفَزا أمامَهُ مِن على سورِ المدرسـةِ هما فتاتانِ تحملان الحقيبتين اللتين قبّلَا رأسَهُ

منذُ قليلٍ وكانَ افتراشُه الأرضَ بسببهما، تغتصبُ كلُّ فتاةٍ لبانةٍ بداخلِ فمِهَا فلا يُقبلُ أنْ يوصَفَ المشهدُ بغيرِ ذلك، أخرجَتْ إحدى الفتاتين من حقيبتِها مِرآةً صغيرة وقلمًا وظلَّتْ ترسِمُ بِه خطًّا حولَ عينيِها وفمُها مفتوحٌ على مِصارعيْهِ وكأنَّهُ كهفٌ تستغيثُ اللبانةُ بداخِلِه فلا تجدُ من يجيب، أما الأخرى فأمسَكَت بزجاجةٍ صغيرةٍ برأسٍ دوارةٍ مرَّرَتها على رقبتها ثمَّ أسفلَ أنفِهَا وأعلى شفتِها العليا وأخذتْ نفسًا عميقًا لتستنشقَ العِطرَ الذي احتفظتْ بأكثر كمية منه أمامَ أنفِها لتكونَ أوَّل من يستنشقَهُ، وفي تلك اللحظةِ لاحظتْه صاحبةُ زجاجةِ العطرِ لتشيرَ بساعِدِها لزميلتِها أن تنتَبِهَ لذلك الذي أفاقَ أمامهما واقتربَتْ منه ساخرةً تقول:

- مالك يا اسطى مش تفتَّح.

لمْ يستوعب الدكتور مصطفى ما قالتْهُ الفتاة، فهل كان ذلك بسبب الصداعِ الشديدِ الذي احتلَّ نصفَ رأسِهِ أم أن السؤالَ غيرُ متوقَّع، ظلَّ صامتًا ينظرُ إليها فتنظُرُ لصديقتِهَا الأخرى التي ألقتْ بمِرآتِها في حقيبتِها مرةً أخرى واقتربت منه تقول:

- حاتمشي عِدل ولا حتتَّح

لمْ يجدِ الدكتور مصطفى إلا أنْ يرُدَّ هذا الاتهام والتهجم

الفج عليه بقولِه:
- أنتِ إزاي تنعتيني بتلك الألفاظ البذيئة، يا صـعلوكة التعليم، يـا فـاشـــلـة التقييم، يا أنثى القرد أنتِ وهي، تتسلقان سور المدرسة وتهربان.

مـا كـان من الفتـاتينِ إلا أن دفعتـاه نـاحيـةَ الســورِ، ثمَّ بحركـةٍ خـاطفـةٍ أخرجـت إحـداهُمـا من حقيبتِهـا مطواة فغرسـتْها في جانبِهِ الأيسـر وقالت ووجهها يسـتشـيطُ غضَبًا:
- مابحبّش الصوت العالي، ودي يا يدوب قَرصَة بسنّ المطواة مـابتعملش نزيف، بس بتعلم عليك عشـــان تعرف تتكلم بأدب بعد كدا، أنا والقطة اللي ماسـكاك حنمشـــي يمين وأنـت للخلف دُرْ وكمّـل طريقَك، لا بصة وراك ولا نَفَس.

كـانـت صـــدمـةُ الحـدثَ قد برَزَت على وجـهِ الـدكتور مصـطفى؛ فَلمْ يسـتطِعْ أن ينطقَ بكلمةٍ وقدْ احتبَسَـتْ أنفاسُـهُ بداخِلِه، واتسعتْ عيناهُ وهو يراقبُ حديثَ الفتاةِ لـه عنـدمـا قـذفتْـهُ بنظرةٍ قـاتلـةٍ تعبرُ عن كلِّ مشـــاعرِ الغضـب والشر والتهديدِ الصـريحِ بعد أن أنهَتْ حديثَها وانصـرفَت من أمامِه، ظل الدكتور مصـطفى لبضـع ثواني على هذه الحالة، لمْ يسـتطِعْ أن يسـتوعبَ أن هذا

كلَّهُ قد حدَثَ له، وأنَّه صَدَرَ من أطفالٍ لم يتعدى سنُّهم أربعة عشر عامًا، فضلًا عن كونِهما فتاتين، عادَ لوعيهِ مرةً أخرى بمشقَّةٍ واعتدل في وقفتِهِ وحاول أن يهندمَ ملابسَهُ التي تهلهلت بسببِ ما حدث، حاول أن يُخفيَ الثقبَ الذي تركَهُ سنُّ المطواة بملابسِهِ وأكملَ سيره بجوارِ سورِ المدرسة وهو يسمعُ صُراخَ وصيحاتٍ عالية وكأن بالداخلِ قطعة من الأندلس يقامُ عليها مجموعةٌ من محاكمِ التفتيشِ وهي تنفذُ أحكامَهَا على المسلمين.

رأى -مع ذلكَ الصراخ- غبارًا وأتربةً كثيفة تتطايرُ من فوقِهِ وكأن تلك البقعةِ هي مصدرُ رياحِ الخماسين التي تحتفلُ مصر بعيدها كل عام في منتصفِ الربيعِ لتغيّرَ كلمات صلاح جاهين في أغنية السندريلا للربيع "الحياة بقى لونها بمبي" لتصبح "الحياة بقى لونها بُنّي"، أخرجَ منديلًا من جيبِهِ ووضعَهُ على فمِهِ وأنفِهِ وأسرَعَ في خطواتِهِ قليلًا وهو يسعلُ بشدّة، حتى وصلَ إلى نهايةِ السورِ ليقفَ أمامَ بوابةٍ كبيرةٍ عليها لافتةٌ معلقةٌ مكتوبٌ عليها "مدرسة سميرة موسى الإعدادية للبنات"، مد يدهُ وطرَقَ البابَ فلم يرد أحد، فزاد من قوةِ ضربتِهِ قليلًا وأعادَ الطرقَ فلم يجبه أحد، زاد من قوة ضرباتِهِ وأطالَ فيها حتى سمعَ صوتًا قادمًا من

بعيدٍ يقول:
- طيب مابورّاحة يا عم جاي.

بضـــع لحظاتٍ حتى ســـمع أصـــواتَ فتحِ عدةَ أقفالٍ واحتكاكَ سلاسلَ حديديةٍ كبيرة، وبعد الانتهاء من تلك الأصـــواتِ المزعجةِ فُتح الباب قليلًا ليخرجَ من ورائِه رجلٌ في الخمسينات من عمره يرتدي جلبابًا وينظرُ له متفحصًـــا ملابسَـــهُ، ثم تغيرت ملامح الرجل وقال متجهّمًا:
- خلاص يعني يا أســـتاذ مش قادر تصـــبر لحد ما الفُســـحة تخلص، دول بنات عفاريت وأنا لازم أقف على أكل عيشي، وعلى رأي عمنا الشاعر البوهيمي "عشـــان الممّ .. الكل يتلم" بس طبعًا مش زي بنت حضـــرتك، ربنا يباركلك فيها، هي في ســـنة كام عندنا؟

نظرَ له الدكتور مصـــطفى مســـتغربًا اســـتنتاجَهُ، لكنه استشف ما يقصده، فقرر أن يسايره حتى يُنهيَ ما جاءَ من أجلِه، فرد عليه مجيبًا:
- ســـنة تانية، حدخل أنا أشـــوف مُعلِّمها الفاضـــل وهو يباشر عمله، أستسمحك أدخل بعد إذنك؟
لم يســـتطِعْ عقل الرجل اســـتيعابَ ما قالَهُ الدكتور

مصطفى، فظهرت عليه ملامحُ البلاهةِ لعدة ثوانٍ كانت كافيةً لمرور الدكتور مصطفى من أمامِهِ ودخولِهِ الممرَّ الذي يمُرُّ على القسمِ الإداري بالمدرسة حتى وجَدَ على يمينِهِ نافذةً مفتوحةً لمكتبٍ إداري يتكونُ من وَحدةِ أدراجٍ عتيقةٍ مصنوعةٍ من حديدٍ ينتمي بلا شكٍّ إلى بقايا الصاروخِ القاهرِ في ستينات القرنِ الماضي عندما بِيعَ كخردة هالكة، ومكتبٍ خشبيٍ ينتمي لتلك الحقبةِ من الزمن يجلسُ عليه رجلٌ خمسينيٌ يحاول أن يقلدَ هتلر النازي الذي لمْ يشبهُهُ إلا في شاربِهِ القصير، يرتدي بدلة أحدثَ قليلًا من مكتبِهِ ووحدةِ أدراجِه، يمسك بيده كوب شاي وبيده أخرى عود بقسماط مطرز بالسمسم ويغمسُهُ في كوبِ الشاي وهو في حالةٍ عاليةٍ من التركيزِ وكأنَّهُ الفنان نبيل الحلفاوي في فيلم الطريقِ إلى إيلات، ثم يخرجُهُ من الكوبِ وهو منهكٌ مما فعلتْهُ به موجاتُ الشاي، ثم يضع عودَ البقسماط في فمِهِ كأنه ساحرٌ هندي يعزفُ على المزمارِ لترقصَ أمامَهُ الأفعى، تظهر عليه علامات الاستمتاعِ والنشوةِ مما حصلَ عليهِ من البقسماطِ العجيبِ، ولم يقطعْ عليه هذه الحالةَ إلا اكتشافُه لنظرةِ الدكتور مصطفى الواقفِ خلفَ النافذةِ، حيث رأى في نظرتِه تطفلًا واقتحامًا لخلوتِهِ الشخصيةِ مما دعاهُ إلى أن يصيحَ فيه قائلًا:

- إيه يا أستاذ باصص للواحد في صوباع البقسماط

اللي بيشـــق بيـه ريقه، خلاص بقينا كده زي ما قال الشـــاعر البوهيمي "كل واحد حاشـــر مناخيره في حال غيره .. ورصيده في حمد ربه بقى زيرو"

قالها وهو يتقدمُ ناحيةَ النافذةِ ليكملَ شِجارهُ مع الدكتور مصـــطفي الذي حاول أن يُلملِمَ شـــتاتَ تركيزهِ ويخرجَ من هذا الموقفِ المحرِج حتى قاطعهما حارسُ البوابةِ الذي جاءَ مســـرعًا فالتصـــق بالنافذةِ وهو يشـــيرُ إلى الرجلِ أن يقتربَ منـه ليخبرهُ بشـــيء مهمٍ وســـريٍ، وبالفعل اقترب منه وســـلم له أذنيه، كان واضـــحًا من إشـــارات يدي حارس المدرســـة أنه ســـيخبره بأشـــياءٍ تخصُّ الدكتور مصـــطفى، وكذلك من نظرات الدهشـــة التي ارتســـمت على وجـه الرجل وهو ينظر نـاحيـة الدكتور مصـــطفى الذي اســـتغل ما يحدث ليتحرك بخطواتٍ شـبهِ سـريعةٍ ليبتعدَ عن هذا المأزقِ المجهولةُ عواقبُـه، ولكن بعد خطواتٍ قليلـة يقفُ متفـاجئًـا ليجـدَ أمامَه نفسَ الرجل خارجًا من بابِ مكتبه ليوقفه قائلاً:

- مش كنت حضـــرتك تقولي إنك ملاحظ من الإدارة التعليميـة، أهلاً بســـعادتك نورت المدرســـة.. مع حضـرتك الأستاذ عبدالعال ناظر المدرسـة، اتفضـل حضرتك في مكتبي اشرب قهوتك.

وجدَ الدكتور مصطفى أن الموقفَ يتحسن بشكل أفضل مما سبق وهذا الوضعُ سوف يساعده على مواصلةِ ما جاءَ من أجلِه وهو أن يلمس المشـــاكلَ من قربٍ وأن يلاحظ جوانبَ خطورتِها وأن يحاولَ علاجَها بشـــكلٍ مباشـر، أدخَلَهُ الأستاذ عبدالعال إلى المكتبِ وأجلسَـهُ على مقعدٍ أمام مكتبِهِ وصاح في الحارس قائلاً:

- رجب!!! .. تعالَ هنا شـــوف الأســـتاذ قهوته إيه؟ واعملها على مهلك بدون استعجال، عايزين معاليه يستمتع بفنجان قهوة محصلش، هاه اتأنّى يا رجب.

كانت غمزةُ الأســتاذ عبدالعال لرجب مفضـــوحةً جدًا للدكتور مصطفى، وتغيير نبرة صوتِه في عدةِ كلماتٍ محددةٍ لإفهام رجب رســـالةً لم تمر بســـلام على ذكاء الدكتور مصـــطفى، مما جعله بعد عدةِ دقائقَ من الترحيبِ الزائدِ أن يقطعَهُ بإشـــارةٍ من يده ليتوقف عن الكلامِ قائلاً:

- ممكن حضـرتك تتنتظرني هنا ١٠ دقائق وأرجعلك تاني؟! أكون ممنونلك.

لم ينتظر الدكتور مصـــطفى رده وخرج من مكتبه وعبدالعال في حالة ثباتٍ وجمودٍ لا يعرفُ هل يحاول مرةً أخرى تمديد حجزهِ معه في مكتبِهِ حتى يتســـنى

لرجب أن يخبرَ الجميعَ بأخذ احتياطاتهم من تلك الزيارة المفاجئة، أم يظل كما طلبَ منه فنبرة الدكتور مصطفى لم تدل على شيء يطمئن القلب، أيقن إنه قادمٌ بهدفٍ واحدٍ يعرفُه جيدًا ويبحثُ عنه، فما كان منهُ إلا أن استجاب لطلب الدكتور مصطفى منتظرًا تحديدَ مصيره.

تحركَ الدكتور مصطفى ليمرَّ بينَ الفصولِ ويُصدَمَ من صُراخِ طالبة تارةً، ومن سُبابِ مُعلّمٍ تارةً أخرى، والعكس بالعكس إذ وجد صراخًا من معلمات وسبابًا من طالبات، ثم رأى أمامه سيدةً في أواخر الثلاثينات من عمرها عليها ملامحُ الغرورِ تنظرُ إليهِ باستعلاءٍ متسائلةً:

- إيه يا أستاذ مش عارف فصلَك ولا إيه؟

نظر إليها الدكتور مشرّفة متفهمًا لما رَمَتْ إليه فأجابها:

- آه أنا الأستاذ مصطفى مشرفة أستاذ العلوم الجديد، آسف على تطفلي على حضرتك، فين معمل المدرسة لو سمحتِ؟

اتضح على ملامحِ تلكَ السيدةِ أنها لم تفهم سؤاله، فهي لا تعرف هل كان جادًّا في حديثه أم كان ذلك من بابِ

السخرية منها، فرجعت برأسِها للخلف قليلًا ثم تفحَّصتهُ بنظرةٍ من إصبعِ قدمِهِ شعر رأسِه ثم مالت برأسِها قائلةً:

- ماشي يا أستاذ يا محترم، المعمل آخر الممر شمال، دا لو لاقيته مفتوح أصلًا أو استحملت ريحته!!
- متشكر جدًا على ذوق معاليكِ.

مال الدكتور مصطفى بيديهِ يحييها، وبعد خطوتين عاد إليها متسائلًا:

- أنا الأستاذ مصطفى مشرفة، حضرتك مش واخدة بالك من حاجة؟

نظرت إليه السيدة في لامبالاة لإجابة سؤاله الذي أثار غرورَها المثار تلقائيًا فقالت:

- سمعت على فكرة، وأنا الأستاذة رحاب مُشرِفة الدور.. في حاجة تانية؟!

حاول الدكتور مصطفى الانصراف وهو في حالةِ صدمةٍ مما سمعَهُ وحاول أن يمتصَّ غضبَه مبتعدًا عنها، لكن فضولَه أعادهُ إليها مرةً أخرى ليقولَ لها:

- اسمحيلي أسأل حضرتك سؤال أخير، هي مين سميرة موسى اللي المدرسة بتحمل اسمها؟

نظرت إليه بسخريةٍ مجيبةً سؤاله قائلة:

- آدي آخرة التعليم المجاني، هو دا اللي جابنا ورا، وأستاذ علوم قال، جهل بستات مصر زعيمات الثورة النسائية في مصر، "الكابتن سميرة موسى" حضرتك دي أول ست مصرية عدت المانش مع الكابتن مصطفى أبو هيف، ممكن تعتقني بقى أنا ورايا شغل، وتقفيل جمعية مش فاضية أثقف فيك!!

ألواحٌ من الثلجِ تساقطتْ بضراوةٍ على الدكتور مصطفى مشرفة وهو ما أدى إلى ثباتِهِ دون حركة مصدومًا مما سمع عن زميلتِهِ الدكتورة العالمة سميرة موسى إحدى رموزِ العلمِ الحديثِ على مستوى العالم ورائدة نظرياتِ الانشقاقِ النووي، أصبحت الآن "الكابتن" سميرة موسى!؟

لم تسعفهُ قدمُهُ في الانصراف فكانت خطواتُه بطيئة حتى وصلَ إلى بابِ غرفةٍ مظلمةٍ كئيبةٍ فوقفَ أمامها، كان في الغرفةِ رجلًا يقفُ أمام منضدةٍ خشبيةٍ عاليةٍ، يبدو من تحركاتِهِ أنه يقومُ بعملِ تجربةٍ لبعضِ الطالباتِ اللاتي لم يعيروه أي انتباه، فكل واحدة منهن في عالمِها الخاص تضعُ مساحيقَ التجميلِ أو تمسكُ بهاتفها النقَّال أو تشارك غيرها النميمةَ النسائيةَ القبيحة.

لم ينقذه من هذا المشهدِ سوى انفجارٌ هائلٌ قادمٌ من أمام

الأســـتاذ الذي يقوم بتجربةٍ أظهر هذا الإنفجارُ نجاحَها بكل تأكيد، فسـقط الدكتور مشـرفة على الأرض مغمي عليـه، وكـان آخر مـا ســـمعَه صـــوتٌ قادمٌ من إحدى الطالبات تقول:

- الله ينور يا أستاذ.

******

لم يكُن الدكتور مصطفى محمود أسعدَ حظًا من الدكتور مصطفى مشرفة أو محمد علي باشا ، بل كان أولَ من خرجوا من مقرِّ إقامتهم الجبرية وانطلَقَ إلى مستشفى القصر العيني بعدَ أنْ حاولَ أن يُخفي شخصيتَهُ قليلًا بارتداءِ جلبابٍ وغطرةٍ وعمامةٍ صعيدية الأصل ، وما أن عبرَ بوابةَ المستشفى حى احتلَّ صدرَهُ سعالٌ شديدٌ جعلَهُ ينتفِضُ من شدَّتِهِ حتى رقَدَ على الأرضِ قبلَ أن يرتطِمَ بها مغشيًا عليه.

سمعَ خطواتِ من يمرون بجانبِهِ وهمهماتِ بعضِهِم عليه، ولكن لم يتقدم منهُ أحدٌ للمساعدةِ إلا بعد أكثرٍ من ساعةٍ، شعرَ بيدٍ تمُسكُ بذراعه وتحاول أن ترفعه من على الأرض ،ثم شعر بذراعٍ تحيط بخصرهِ وتشدُّ عليه ليقفَ ثم يسمعَ من صاحبِ هذه اليدِ القويةِ صراخًا بصوتٍ عالٍ يصيح:

- أبويا يا جماعة، حرام عليكُم، حد يساعدني يدخلُه معايا الاستقبال.

لمْ يتدخل أحدٌ فزادَ في صياحِهِ واستمرَّ الحالُ كما هو والدكتور مصطفى مندمجٌ في أداءِ دورهِ دورِ المريضِ المغشي عليهِ- الذي سيمرُّ على مراحلِ عدةٍ حتى وصولِهِ إلى فِراشِه المُعَدِّ لعلاجِهِ أو هكذا كان يظن ،

لكنَّه تعجّبَ من هذا الشخصِ الذي تطوَّعَ لإنقاذهِ بعدَ أن أهمَلَهُ الكثيرون لمدةِ ساعةٍ على الأقلِّ وهو مفترشٌ الأرضَ تتغذَّى عليهِ أشعةُ الشمسِ والذباب وتعجبَ أكثرَ لادّعاءه وصُراخهِ بأنه ابنه يستنجد بالناسِ للمساعدة.

ظنَّ الدكتور مصطفي أن هذا الرجل يمتلئ بالطيبة وتنير شخصيتَهُ الشهامةُ والشجاعةُ وذلك بسبب ادعاءه بنوتِه له حتى يدخلَه المستشفى، فبالتأكيد كان المشهد صادمًا عندما رأى رجلًا مسنًا تظهرُ على ملابسِهِ ملامحُ الفقر وهو ينام على الأرض، ويتجاهله كلُّ من يمرُّ بجانبِه أو يثيرُ خوفَهم فيبتعدونَ عدةَ خطواتٍ عنه ثم يُكمِلونَ سيرَهُم، وهو ما أثَّر على هذا الرجلِ النبيلِ حتى فعلَ ما فعل معه ، وتفاجأ الدكتور مصطفى أكثر بعد صياحِ هذا الشابِ عند مكتب الاستقبال بالمستشفى ليوفرَ له مكانًا في إحدى الغرف، ولم يكتفِ بذلك بل بدأ في التشاجرِ مع موظفي الاستقبال الذين رفضوا دخولَ والدهِ -أو الدكتور مصطفى- معللينَ ذلك بعدمِ توافرِ أسِرّةٍ فارغة، حتى جاءتْ ممرضةٌ أربعينية سمينة ترتسمُ عليها ملامحُ حمواتِ القرنِ الماضي، فصاحت في موظفِ الاستقبال قائلةً:

- خلاص يا بدوي اهدا، في سرير فاضي للحاج، وحّد الله وقول يا صبح.

ثم اقتربت من الشـــابِ فهمســـت له قليلًا فاتضـــح من طريقةِ حديثِهما أنه كان حديثًا سلسًا لا يشوبه شيء، ثم انتهى بإعطاءها شـــيئًا في ســـرعةٍ وخفة لتأخذه منه وتتفوقُ عليهِ في الســـرعةِ والخفة وهي تشـــيرُ له أن يتبعَها بوالدهِ وهو يحمله، ثم أشارت لموظفِ الاستقبال وهي تنظر له نظرة مؤكدة لما ينتظره قائلة:

- حوَصَّل الحالة وأرجعلك.

شعَرَ الدكتور مصطفى محمود بأن فترةَ حملِ الشاب له قد طالت وكان ذلك بسببِ الممراتِ والأبواب والطوابقِ العدة التي مر بها مما جعله يقلق قليلًا ، أين هذا الفِراش الفارغ في تلك الدوامة التي تشـــبه متاهة البصـــمة الأســـطورية ، حتى ســـمِع أنينَ بابٍ حديدي يُفتَحُ في الردهةِ السفلية للمستشفى يكشفُ عن غرفةٍ بها فِراشًا ملوث بدماءٍ قديمةٍ لاصـــقة بملمســـهِ الجلد المتهالِك وكأنها عشـــقيته، وبجواره منضـــدة عليها عدة أدوات طبيةٍ لم تعرف طريقَ النظافةِ في حياتِها، وفي الخلف بعضُ الأجهزةِ الطبيةِ التي يبدو من كمِّ الأتربةِ والغبار عليها أنها بمرحلةِ الشيبِ والخرفِ والعجز ، ومصباح يتيم فقدَ براءةَ ضوءهِ منذ أمدٍ بعيد، لكنه يُضيء أجزاءً من الغرفةِ على كل حال.

وضـــع الشـــابُ الدكتور مصـــطفى على هذا الفراشِ

الملوث، وكانت الممرضة تُجري مكالمةً من هاتفِها النقَّال وهي واقفةٌ على بابِ تلك الغرفةِ تراقبُ الموقف حتى لا يشعرَ بِهِم أحد، أنهت مكالمتها وذهبت إلى هذا الشابِ كأنه يقومُ بدور مفتش الجمارك الذي لم تكفِهِ الرشوة فأخذ يفتشُ في ملابس الدكتور مصطفى، اقتربت منه فقالت هامسة:

- إيه يا جُمعة لاقيت معاه حاجة نعرف هو مين ولا إيه دنيته إيه؟

أجابَ عليها بعد أن توقفَ من عبثه بالدكتور مصطفى قائلًا في سعادة:

- أبيض يا ورد يا بطة ، مش معاه ولا أي إثبات ولا ورقة نتيجة حتى، يعني جاهز للكشف، استعجلي أنتِ الدكتور عاصم.
- حصل.. ونازل دلوقتي.

ثم اقتربت "فاطمة" أو كما لقبّها هو "بطة" في دلالِ أنثى وحيدِ القرنِ مستخدمةً مفاتنها الأنثوية هامسةً له:

- عايزاك تقرُص عليه المرة دي شوية يزود نسبتي باكوين تلاتة كدا.

فأجاب وهو مستمتع بلمساتِ يديها على وجهِه قائلاً:

- نسبتك لوحدك برضه يا أنانية أنتِ!! صدق الشاعر البوهيمي لما قال "عيش قرد وحداني .. ولا تعشق قلب أناني" هي بقت كده خلاص!!
- يوه يا جمعة هو أنا وأنت إيه؟ مش واحد؟

كان الدكتور مصطفى يختلس النظر خلال تلك الفترةِ ليراقبَ ما سيفعلوه به، لكن هذا المشهد قد أثار غثيانه أكثر من رائحة الموت المنتشرةِ في كل ملي متر بالمكان، لم ينقذه إلا ظهورُ شخصٍ فجأة على الباب يتأملُ هذا المشهد كأنه علاقةٌ محرمة دوليًا، فقال:
- إيه يا ست فاطمة اللي بتعمليه أنتِ والأستاذ جمعة دا ، دا مكان أكل عيش حضرتك الحاجات دي يا أساتذة تتعمل تحت السلم هناك أو في مخزن المعدات زي ما بعمل.

قال تلك الكلمات ثم انفجر ضاحكًا وتبعاه جمعة وفاطمة بعد أن أدركا أنه يمازحهما ، كان هذا هو الدكتور عاصم الذي اقترب من الدكتور مصطفى متسائلًا:
- إيه أصله دا وقعتوا عليه منين؟ عرفتوا عنه حاجة؟

أجاب جمعة متفاخرًا بنفسه:
- الحتة دي أبيض من كوباية السوبيا يا دكتور،

مافيش أي ورقة ولا أي إثبات شخصية، شكله كدا حد منضفه من زمن وتايه في ملكوت الله بقاله فترة ، لاقيته وقع من السما قدامي ، صبرت عليها لحد ما أتطمنت ولاغيت بطة بالليلة ، وهوبا هيصة ظيطة أبويا يا ناس الحقوني يا بشر والدخول الرسمي ويبقى حد يدور ورانا بقى.

يضع الدكتور عاصم يده على كتف جمعة مشجعًا له قائلاً:

- أحلى حاجة فيك يا جمعة إنك حابب شغلتك وبتعملها بضمير وزي ما قال الشاعر البوهيمي "حبة ذمة مع شغل بضمير مش حتشوف خير .. لكن حبة دناوة مع شغل ضمير تبقى الأول مش الأخير".

زادت ابتسامة جمعة تفاخرًا ثم نظر لفاطمة التي أشارت له بعينها مُلمحة لجمعة الذي فهم ما تعنيه فحك بيده اليمنى في منتصف رأسه وهو يقول:

- حبيبي يا دكتور، لكن أنا حابب أطلب منك طلب وإحنا داخلين على رزق أهو عشان يبقى من أولها وربنا يباركلنا فيه.

وقف الدكتور عاصم مستندًا على الفراش الذي ينام عليه الدكتور مصطفى ويميل رأسه قليلًا مع رفع

حاجبه الأيسر وقال:
- هات اللي عندك يا جمعة وجيب من الأخر.
- بص يا دكتور أنا ماقصرتش معاك في العيانين اللي شغالين باليومية مع طلبة كلية طب اللي تبعك، اللي بتطلبه بيجيلك ومش مختلف معاك في السعر لأن الأسعار مقننة من زمان.

ثم قاطعته فاطمة متسرعةً قائلة:
- حتى العيال اللي بيجوا من الولادات الشمال اللي بعملها أنا وأنت يا دكتور، عَرَقِي مش بتكلم فيه كتير، والأدوية وأكياس الدم اللي بنهربها برة أنا وجمعة وتستلمها مننا وتتصرف فيها، إحنا متفقين فيهم على تسعيرة واحدة.

قاطعها الدكتور عاصم غاضبًا:
- أنتِ بتقدميلي الـCV بتاعك ، أنا قلت لجمعة هات اللي عندك فياريت تنجزوا انتوا الاتنين.

نظر جمعة لفاطمة، وفي جديةٍ وجّه نظرهُ للدكتور عاصم ثم أردف قائلًا:
- نصيبنا في العملية دي لازم يزيد ويرضينا قبل ما نبدأ شغل فيها، معلش يا دكتور دا حقنا وأنت راجل تعرف ربنا ومابترضاش بالظلم.

يحدق فيهما الدكتور عاصم معلنًا رفضَه لطلبِهما المفاجئ في هذا التوقيت، ثم يزفرُ بتنهيدةٍ ويتحركُ ذهابًا وإيابًا أمامهما، وجمعة وفاطمة يراقبانِهِ من كثب حتى توقف واستدار ناحيتهُما وهو يزفرُ زفرةً عاليةً قائلًا:

- مع إني مابحبش لوي الدراع ولا أعمل حاجة أنا مغصوب عليها ، إلا إني حوافق المرة دي، بس المرة دي وبعد كدا لينا كلام تاني.
- إحنا معاك في اللي تؤمرنا بيه، المهم أنا وفاطمة نبقى راضيين وحضرتك طبعًا ، مش يلا بقى أحسن أبويا الحاج يقلق في نومته.

يرد عليه الدكتور عصام ساخرًا:

- لا متربي يا جمعة، دادي الحاج عِرِف يربيك، ادعوله بالرحمة بقى وإن ربنا يغفر له علي اللي عمله في حياته.
- أكتر ميزة فيك يا دكتور إنك عارف ربنا وبيتريح ضميرنا كدا وإحنا داخلين نشتغل.
- طبعا يا فاطمة إحنا بنريح الراجل الكبير دا من البهدلة والمرمطة اللي بيشوفها ونعجل بمعاد هو مستنيه من زمان ، ربنا يجعله في ميزان حسناتنا

جميعاً.

وحينما اقتربوا من الفراشِ الذي يرقدُ عليه الدكتور مصطفى قام منه فازعًا يحاول الهرب، لكن جمعة وفاطمة تكاتفا عليه وسبقه الدكتور عاصم مغلقًا للباب، ثم اقترب منه وهو يُخرج من جيبِ معطفِهِ الأبيض حقنةً كبيرةً وينظرُ له مبتسمًا ثم أردف قائلًا:

- إيه يا جمعة مش تقولي إن الحاج والدك ليه في الأكشن!

فأمسكه جمعة بقوةٍ أشد وفاطمةُ تعملُ على ربطِ يديهِ ثم اقترب من وجهه الذي احتل الفزع والرعب ملامحه وهمس فيه قائلاً:

- ليه كده أدادي؟

******

وقفَ الزعيم السادات محتارًا أمام خزانةِ ملابِسِه التي لا تحتوي إلا على بدلتينِ أحدُهُما تشبهُ بدلتهُ العسكرية المزينة بالنياشين الرسمية والعسكرية، والأخرى بدلةٌ مدنيةٌ رسميةٌ رماديةُ اللون، أخذ ينظر لهما في حيرةٍ، أيهما ستكونُ مناسِبةً لخروجِهِ من إقامته الجبرية - والتي انتهت يوم أمس- لحضورِ الحفلةِ المقامةِ اليوم بميدان التحرير لإحياء ذكرى ثورة ٢٥ يناير وسط شباب الأحزاب، وبرغمِ إلغاء الإقامةِ الجبرية إلا أنه لم يخرجْ مثلما خرج محمد علي باشا والدكتور مصطفى مشرفة والدكتور مصطفى محمود بالأمس. ظلَّ رقيبُ غرفتِهِ يفكرُ في كلِّ حدثٍ من الأحداث التي بدأت بالاختفاء المفاجئ للثلاثي كريم وهشام وعلّام ومعهم أيضًا الكابتن صالح سليم والفنان رياض القصبجي، ثم فرض الإقامة الجبرية والانعزال عن العالم بشكل كامل، وبالأمس خرجَ بقيةُ الحكماءِ الثلاثةِ ولم يعودوا مرة أخرى.

كلُّ هذا جعلَ قرارَ خروجِهِ من غرفتِهِ قرارًا يصعُبُ اتخاذه، لم يعكر صفو تركيزه إلا طرقُ أحدِهِما باب غرفتِهِ، والتي سمحَ السادات بدخولها ليجدَ أحد حراسِهِ المقيمين بجوارِ بابِهِ منذ أن بدأتْ إقامتُهُ الجبرية، هؤلاء الحرس الذين لهم صلة قرابة الدم من أسرة أبو الهول في الوقوف صنمًا صامتًا بلا مشاعر ولا

صـوت، متأنق دائمًا ببدلته السـوداء ونظارته السـوداء فلقد كـان هو خلال تلك الفترة ونيســـه والرقيب عليه، تقدم ناحيته عدة خطوات ثابتة ثم وقف جانبه منتصـــبًا قائلاً:

- العربيـة اللي حتودي حضـــرتـك الاحتفـال منتظرة معاليك تحت يا فندم.

نظرَ إليه الســـادات بائسًـــا وهو يُميلُ رأسَـــهُ بالموافقةِ ليخرجَ الحـارسُ من غرفـةِ الزعيم تـاركًا إياه يرتدي ما يليق بـه ليخرج بعده بعشـــرة دقائق من غرفته مرتديًا بدلتهُ الرسميةَ رماديةَ اللون و القميصَ الأبيض ورابطة العنقِ السـوداء ومعلقًا على ياقةِ بدلتهِ دبوسًـا على شكلِ علم مصر صغير، فكان هذا ما اكتفى به من النيانشين، ثم اكتملت أناقتَه بارتداءه نظارته البنية، تقدَّم بخطواتٍ ثابتةٍ في الطرقاتِ والممراتِ حتى وصـل لبوابةِ القصر الذي يقيم فيه ليجدَ سـيارةً سـوداء مرسـيدس يفتح بابها السـائق الذي لا يختلف في مواصـفاته عن مواصـفات الحارس الرقيب الذي تركه عند باب السيارة وهو يغلقه عليه، جلس وحيدًا بتلك السـيارة هو وسـائقه فقط دون حارســـه الرقيب الذي التفتَ الزعيمُ الســـادات ناحيتَه والســـيارةُ تبدأُ في التحركِ ليجدَه ينظرُ له ويشـــقُ فمه بابتسـامة خفيفة، نعم ليست مكتملةً، لكنها ابتسـامةٌ على أي حال وهذا ما جعل الزعيم الســـادات متوترًا أكثر ،

مرت دقائق ليست بالقليلة حتى اقتربت السيارةُ من مكانٍ قريبٍ من ميدانِ التحرير، فالشوارع والطرق شبه فارغةٍ بسببِ العطلة الرسمية ، عطلة رسمية للأبدانِ والعقولِ والضمائرِ أيضًا ، بدأ يسمع هُتافاتٍ وصيحاتٍ مشوشةٍ لم يفهمْ معناها بشكلٍ دقيقٍ ولكن كلما تحركت السيارةُ قليلًا، قلَّ تشويشها وازداد الصوت وضوحًا، حتى توقف سائق السيارةِ بالقرب من بوابةٍ تابعةٍ لتنظيمِ الميدان، والذي يقع بجوارِ تمثالِ عبدالمنعم رياض قائلاً:

- دي أقرب حتة أقدر أنزل معاليك فيها.

ينظر له السادات ويُميلُ برأسَهُ موافقًا ويخرجُ من السيارةِ وهو يلتفتُ حولهُ يمينًا ويسارًا وهو يسمع هُتافاتِ الجماهيرِ التي، تلك الهتافات الوطنيةِ القديمةِ وغيرها المستحدَثة أخيرًا ، وإذ فجأة قطعَ طريقَهُ إلى البوابةِ شخصٌ، كأنه قطارٌ يعبرُ مزلقان شبرا لسكة الحديد، ليوقفه، يرتدي الرجل نظارةً زرقاءَ ذات إطار فقط دون عدساتٍ زجاجيةٍ يطيل لحيته قليلًا حالقًا شعره بمبدأ الشاعر البوهيمي "كيف تكون على وضعك وبالعُمق تحيا .. إهري زيي بكلام موزون وأطلق سيكا اللحية"، صاح في الزعيم السادات قائلاً:

- بطل الحرب والسلام.. بطل البيانات والكنيسات،

زعيم الزعاميم الباشا أنور السادات ، باشا بنفسه وصل وصل.. الريس وصل يا خلق.

ينظر له السادات مصدومًا من هذا الترحيب الغريب المبالغ في كل كلماتِهِ، ويُخرج من جيبه غليونه وباليد الأخرى يُخرج علبة الثقاب وما أن بدأ في إشعال عود الثقاب وهو ينظر لهذا المبالغ فيه حتى وجده يقفزُ أمامه ويقول منتشيًا في صيحة أخرى مبالِغة:

- "أنا ولاعتك أنا كبريتك .. أنا المصري أنا حفيدك .. أنا اللي تقولي أولع بيك .. وأَطفي سيجارتي في أيدك" .. الله الله عليا ، هو أنا أطول يا معالي الزعيم، مع حضرتك شاعر الفلوكة والمصنف الأربعتعشر محليًا في تنويع القوافي، الشاعر "أبو نسمة العالي".

صافح السادات يد أبو نسمة الممتدة أمامه في عجالة، وحاول أن يعبرَ نقطةَ توقفِهِ إلا أن أبو نسمة أصر على إشعالِ غليونِ الساداتِ بنفسه، مما جعل السادات تحت إلحاحِهِ ينصاع له، وبعد أن أشعلَهُ حاول السادات تجنبَهُ وتجاهلَهُ دونَ أن يعطيَه أي اهتمام زائدٍ إلا أن أبو نسمة تقدمه بخطواتٍ مسرعةٍ منتشيةٍ تظهر عليه علامات الانبهار الزائد، إلى أن قابلهما أربع أفرادٍ ترتسم عليهم

ملامح الجمود، ما جعل السادات يتريثُ في خطواتِهِ قليلًا، إذ أن الشك المسيطر عليه منذ الأمسِ مازالَ يتحكمُ بنسبةٍ كبيرة من انفعالاته، ولكن عندما وصلوا إلى أبو نسمة المتقدم عن السادات بعدة خطوات توقفوا معه وظلوا يهمسون له ويهمس لهم وينظرون ناحيتَهُ ويحدقون به جميعًا، استمر هذا المشهدُ بضعَ دقائق وغليون السادات جمرة نارٍ من قوة وسرعة تدخينِهِ له، تقدم أبو نسمة من السادات بعد أن أنهى حديثه مع هؤلاءِ الرجال، نظر له بنظراتٍ حائرةٍ قليلًا ثم قال:

- مش حينفع حضرتك تخش كدا عشان الشباب عايزين يتكلموا بحرية وكل الأطياف تقول بياناتها ومايكونوش خايفين من حضرتك أو الناس تفتكرهم موجهين من معاليك.

تذمر السادات ولمعَ في عينيهِ صخبُ غضبِهِ فقال:

- لما هما خايفين ومتوجسين مني بعتوا لي دعوة ليه؟ هما فاكرين إن الشعب حيصدق إني متواطئ معاهم، بلغ الشباب الحزبي احتجاجي الرسمي لما طرأ منهم، السلام عليكم.

التفت السادات مفكرًا أين يذهب الآن تاركًا أبو نسمة واقفًا صامتاً، ظلّت الحيرةُ من عقلِ السادات حتى

خرجت بعدةِ تساؤلاتٍ وهو يخطو خطواتٍ ثابتة بعيداً، هل يعود مرة أخرى بقدميهِ إلى محبسِـــهِ بعد أن خرج منـه وهو لم يتبق في حياتِهِ الثانية إلا عدة أيام قليلة؟ لم تَطُل تلك اللحظات وذلك بسـبب ظهور أبو نسـمة مرة أخرى أمامه قاطعًا طريقه قائلاً:

- معـالي الزعيم أنـا بعتـذر لـك بـالنيـابـة عن جموع الشـباب الحزبي وبستأذنك إنك تحضـر وتسـمعهم، شـوف وصـل فكر حضـرتك ليهم ولا لسـه من غير حتى ما تكون ظاهر في الصـورة بشـكل مباشـر، أنا عارف قد إيه حضـرتك عايز تسـمعهم وإن برنامج معاليك فاضي دلوقتي لأنك كنت حاجزه للمؤتمر دا.

ينفخ السادات دخانَ غليونِه ويقولُ له في حدةٍ:

- ممكن توضح قصدك إيه؟

يبتسـم أبو نسـمة ابتسـامة ماكرة ثم يهمس للسـادات ببعضِ الكلماتِ التي تنال الدهشـةَ ثم القبول من الزعيم السادات، وبعد عشرين دقيقة تشتعلُ الحماسةُ في ميدانِ التحريرِ، ويتهاتف على المنصـــة شـــباب الأحزاب المختلفـة يتنـاوبون أدوارهم في إلقـاءِ البيـانـاتِ والشـعاراتِ الحماسـيةِ التي تُلهِبُ صـحوةَ الجماهيرِ، ووسـطَ هذا الزخم على المنصـةِ يقف أبو نسـمة بين

العشـرات من الشـباب وبجوارهِ السـادات متخفيًا تحت مِعطفٍ أسودٍ كبيرٍ بغطاءِ رأسٍ يغطي منتصفَ وجهِه، أصبح في قلب الحدث يسمعُ الهُتافاتِ والبياناتِ ويشاهدُ انفعالات الشعب عن قرب ويستنشق دخان غليونه الذي استعاره منه أبو نسمة وانهمر في التدخين به زاعمًا أن ذلك من أجل ألا يلفِتَ الانتباه لـه، وبعد عدة دقائق وتناوبِ الخطاباتِ بين بعضِ الشـباب على المنصـةِ، مال أبو نسمة ناحية السادات هامساً:

- دا دوري.. أنـا حطلع أقول القصـيدة بتاعتي حاول ماتتحركش من هنا يا معالي الزعيم.

مال السادات برأسِهِ موافقًا وظل يراقبُ أبو نسمة وهو منخرطٌ بين الجموع على المنصـةِ حتى وصـل إلى إحدى أركانِها لإلقاء قصـيدته، فأمسـك بالميكرون وبدأ حديثه يقول:

- راح أقول قصـيدة من قلب قلبي الجواني .. أخوكم الشاعر أبو نسمة العالي.

"حنـديكي يا مصر حقك..وعلى حقك حديكي تِيبس
وأنتِ حقـك زي أرضك..وإحنا أرضـك وليكِ ورث
ورث من أيـام الفـراعنة..كانت أرضك تصـرخ تحـس
ولا خـاين عـرف يبيعك..حتى اسـألوا ديـليـسبس"

وما أن نطقَ بأخرِ كلمةٍ حتى ظهرت عشراتُ الأسلحةِ الناريةِ في وسط الصفوفِ الأولى من الجماهير لتمطره بوابلٍ من الرصاص على المنصة التي كانت بدورها أيضًا مستعدةً لمثلِ هذا الموقفِ، فتحولَّ الشبابُ على المنصةِ إلى قتلةٍ مأجروين يردون بوابلٍ آخر من الرصاص، ووسط هذا المشهد كان الزعيمُ السادات مفترشًا الأرضَ يحتمي بأحد ألواح الإعلانات التي كانت مثبتةً على المنصةِ، ثم اقترب منه أبو نسمة زاحفًا ناحيتهُ متسائلًا في لهفة:

- حضرتك بخير؟

يتقدم السادات زاحفًا إليه وهو يفتح زرارَ قميصِهِ ورابطةَ عنقِه من تحت معطفِه الأسود ويشير إلى القميص الواقي من الرصاص فيرد عليه أبو نسمة فرحاً.

- الحمدلله إن حضرتك لابسه.
- هو إيه ده؟
- القميص يا معالي الرئيس.
- ربنا يخليكِ يا جي جي، يا ابني لا يلدغُ المؤمنُ من جُحرٍ مرتين، متخيل بقى مرتين، مرتين يا كفرة.

******

جلسَ على مقعده الخاص بمكتبِهِ الفاخر يُقلبُ قلمَهُ الذهبي بين أصابعهِ، ويده الأخرى تستريح على طبقٍ من التحف الزجاجية الأنيقة كل فترة من رحلتها إلى فمِهِ حتى يستنشق منها دخانَ تبغِهِ الخاص، وعيناه الجاحظتان تنظران كل بضع ثواني إلى ساعة الحائطِ الكبيرة في منتصفِ الغرفة أمامه ليتأكد أنها تتحركُ وأن صوتَ ضرباتِ ماكينتها المنتظمة الرتيبة المملة ماهو إلا إثبات أنه ما زالت على قيد الحياة، دقات قلبهِ تتسابق مع قفزاتِ قطراتِ عرقِ جبينِه، إعلان رسمي عن حالةِ توترٍ وصلت إلى ذروتها، حتى سمع ضرباتٍ ثابتةً على بابِ مكتبِهِ مما جعله يخطف آخر ماتبقى من دخان تبغِهِ الخاص بشكل سريع وكأنه ترياق الحياة ثم عدّل من جِلستهُ قليلًا وأخذ نفسًا عميقًا لتتبعها زفرة كبيرة هادئة، وأذن للطارق بصوته الرخيم قائلاً:

- أدخل.

ظهر أمامهُ الرائد سامح متأنقًا ببدلتهِ العسكريةِ وبريقُ السعادةِ يظهرُ من عينيه وشفتيه، وبعد أن انتصب أمام مكتبِ اللواء طارق وأعطاه التحيةَ العسكريةَ حتى أشارَ لهُ بالحديثِ، وزادت عيناه اتساعًا من أثر شغفِهِ وتوترهِ اللذان لم يستطع إخفاءهما قائلاً:

- إيه يا طارق؟ إيه الأخبار؟

رد سامح مبتسماً:
- الملف خلاص يا باشـــا اتقفل خالص وكأنه ما اتولدش من الأســاس، ومن غير ما نكون ســبب في نقطة دم واحدة معاليك.

نظر إليه متعجبًا ورد عليه متسائلاً:
- إزاي يا ســـامح؟ أنت عارف إن إمبارح يعتبر على كلام العيـال بتـاعـة التنظيم إيـاه هو تـاريخ نهـايـة التعويذة ورجوع العفاريت دي للتماثيل تاني، والدنيا هس هس والإعلام والبلد مافيش ولا خبر ولا كلمة، عايز أفهم اللي حصـل من سـاعة ما اسـتلمت الملف دا بشكل شخصي لحد دلوقتي.

نظر إليه محذرًا يقول:
- كل تفصيلة يا سامح سامعني، كل تفصيلة.

مال ســـامح برأســـه موافقًا ومرحبًا بطلبِهِ وبدأ حديثهُ قائلاً:
- أنـا لمـا كلفتني حضـــرتك بـإني أنهي المهمـة دي، فكرت إزاي نقدر مش ننهيها، بس فكرت إزاي نقدر نلغيها من الأســاس وكأنها ماحصــلتش أصــلًا، ودا عدى بحوالي أربع مراحل لو تســمحلي أوضـــحهم لحضرتك على اللوحة.

أشـــار لـه اللواء طارق بالموافقة، فتقدم ســـامح ناحيةَ اللوحةِ البيضـــاء ليقوم بشـــرح كيفية غلقِهِ لهذا الملف، وأمســـك بالقلم وكتب ٤ كلمات (الظل – الكماشـــة – البوستة – السينما) وبدأ في الشرح قائلًا:

- زي ما حضرتك شايف أنا حبيت أسميهم بالأسامي دي دليل على نوع المرحلة ونوعية الشـــغل اللي قومنـا بيـه، المرحلـة الأولى كـانـت "الظـل" ودي مرحلة المراقبة لأفراد التنظيم بشـــكل مكثف ودقيق جدًا وبجميع التقنيات المتاحة ودا ابتدى لما كشـــفوا نفســـهم في اجتمـاع المســـوخ بتوعهم مع مجلس الوزراء ولمـا عرفنـا إيـه اللـي بيخططوا ليـه والقرارات اللي نـاويين يعلنوها على الشـــعب، ودا كان حيتســـبب في بلبلة إحنا في غنى عنها، فخلاني أتجه للمرحلة الثانية.. "الكماشة".

ودي ابتدت بحجز أفراد التنظيم قبل ما يبثوا البيانات الرسـمية من مجلس المسـوخ بتاعهم والتحفظ على البيـانـات دي وفرض الإقـامـة الجبريـة على مجلس المسـوخ وقطع علاقتهم بالإعلام بشـكل نهائي، أما رجـالتنا في الإعلام عرفوا يلهوا الناس بعصـــفورة تانية خلال الفترة دي على شـــاكلة "تســـريب فيديو فاضـح لفنانة مشـهورة – ظهور القرش في الفيوم –

الساحر اللي قتل عياله – واحدة مسلمة هربانة من جوزها في الكنيسة – إلخ" والإنسان بطبعه نسّاي والإنسان المصري بقى إنسان أصيل أوي، ولما قريت البيانات المتحفظ عليها من مجلس المسوخ وشوفت قد إيه فيها خطر كبير على كيانات ومؤسسات كبيرة أخطر ما خطرها علينا، جه وقت المرحلة التالتة "البوستة".

ودي كانت ظرف بنسخة من البيانات دي للكيانات الكبيرة اللي مصالحها حتتداس في أول يومين من تنفيذ القرارات أو مجرد الإعلان عنها، ودا كان الاتفاق على إنهم ينهوا الموضوع دا بطريقتهم وبدون تدخل مننا قصاد إن البيانات والقرارات دي تتعدم، وإديتهم مدة أسبوع يفكروا وفي نهاية المدة الرد كان بالموافقة وبالإجماع ودا خلاني وصلت للمرحلة الرابعة "السينما"، وهي إني كنت براقب وأتفرج من بعيد على كله بيتحرك في حدود الشاشة اللي أنا محددها وبس.

نظر إليه اللواء طارق مستمتعًا بحديثِهِ وأشارَ له بأن يكمِل:

- ثقتي في الكيانات دي وقد إيه هي حتخاف على مصلحتها لإناه استثمارات بالمليارات واللي هي بالتالي بتصُب في مصلحة البلد، هي كلها مركب

واحدة والكل ليه وظيفة عليها المهم إنها ماتغرقش، كانت خطتهم فوق الممتازة الفكرة قامت إنهم يحطوا كل مسخ من المسوخ في قاع فساد كل قضية كان متخيل إنه يقدر يحلها ويلمس فساد الأفراد اللي حواليه وإن الموضوع مش مستشار ولا زعيم هو اللي حيحل وإنك حتى لو كنت العَالِم في مجالك فدا برضه مش كفاية، وكل دا يتم من خلال واحد أو بإسمه الكودي "الثعلب" اللي حنزرعه قدامهم وهو اللي حيحركهم زي الماريونت ولكل شخصية فيهم كان ثعلب مختلف، الفكرة كلها إنه يخليهم يختاروا بإيدهم نهاية فاشلة لهم وللتجربة دي، نهاية تتوثق عشان ماتتكررش تاني، الفكرة كلها في اليأس القاتل والإحباط الشديد.

نظر إليه اللواء طارق ساخرًا يقول:

- يأس وإحباط غريبة دي، هو حصلهم إيه بالظبط؟
- حأقول لحضرتك يا فندم نبتدي بالمسخ محمد علي باشا اللي لاقوه رجع صنم بعد انتهاء فترة التعويذة في مطار القاهرة الدولي وهو بيحاول يهرب على تركيا بباسبور مزور بمساعدة الثعلب "هيما فتلة"، ومسخ الدكتور مصطفى مشرفة رجع صنم متعلق في مشنقة بعدما شنق نفسه في معمل مدرسة الكابتن

سميرة موسى الإعدادية بمساعدة الثعلب "عم رجب البواب"، ومسخ الدكتور مصطفى محمود لاقوه رجع صنم في بدروم مشرحة القصر العيني بس ناقص من جسمه الكليتين والمخ والقلب ودا تم بمساعدة الثعلب "جمعة"، أما عن مسخ الزعيم السادات لاقوه رجع صنم في حوش بيت جده القديم في قرية ميت أبو الكرم بعد ما هرب من محاولة اغتياله الفاشلة على المنصة في ميدان التحرير بمساعدة الثعلب "أبو نسمة"، أما مسخ الكابتن صالح سليم للأسف دا مات قبل مايتحول صنم بفترة، كان بيحاول يهرب من جمهور الألتراس اللي بيحبوه جوه ممرات إستاد القاهرة ومات نتيجة للتدافع ماستحملش، ومسخ رياض القصبجي للأسف برضه مالحقش يرجع صنم وده لإنه ماستحملش فقرة الترحيب اللي عملها ٣ أمناء قسم المرج عليه في غرفة الاستقبال لما لاقوه بيحوم حوالين القسم ودا لأنهم بيشوفوا شغلهم على أكمل وجة يا فندم وطبعًا الوفاة نتيجة لسكتة قلبية طبيعية جدًا يا فندم.

وقف اللواء طارق فخورًا والسعادة تملأ جميع عضلاتِ وجهِه وبدأ بالتصفيق للرائد سامح الذي رد عليه بالتحية العسكرية قائلاً:

- كل دا تم تحت توجيهات وإرشـــادات حضـــرتك يا فندم.
- بجد يا سامح حاجة تُحترم، الداخلية كلها فخورة بيك يا حضـرة المقدم سـامح ودي حتسـمعها عن قريب جدًا.

صافحَه اللواء طارق وأشارَ له أن يجلسَ قال له:
- ماقولتليش.. بالنسبة لأفراد التنظيم دا عملت فيهم إيه؟!

وقف الرائد سامح من جلسته قائلاً:
- تسمحلي حضرتك أفتح الباب.
تقدم سامح في اتجاه الباب ليفتحه، وأشار لاثنين ليدخلا الغرفة، ووقف بينهما قائلاً:
- دول معـاليك آخر الثعـالـب في اللعبـة دي، الفنـان شـريف والباشـمهندس نبيل اللي سـاعدونا كتير في الفترة اللي فاتت دي غير إنهم ســلمونا كل حاجة تخص التعويذة من فيديوهات وملفات صـوتية عنها وإزاي تم اســتخدامها، اللي يحب البلد يا باشـــا مايبخلش عليها بمعلومة.

مال اللواء برأسـه مفتخرًا بما وصـلَ إلى حوذتِهِ، ولكن ألحَّ في عقلِهِ سؤالٌ وأرادَ الإجابةَ عليهِ قائلاً:

- أومال باقي التنظيم عملت فيه إيه يا حضرة الظابط؟!
- تم الإفراج عنهم بعد احتجازهم ٤٨ ساعة يا فندم، إحنا دورنا إنتهى هنا معاليك.

ضربَ اللواء طارق بيدهِ على المكتب وانقلب وجهُه ١٨٠ درجة، من شدة الفرحة والنشوة إلى قمة الغضب والثورة قائلاً:
- تم الإفراج عنهم إزاي يا حضرة الظابط، دول أعضاء تنظيم هدد الأمن العام للدولة، إزاي يا رائد سامح.. إزاي؟

أخذَ سامح نفسًا عميقًا وهو في قمةِ الاسترخاءِ، ورد مبتسمًا في قمةِ الثباتِ وقال:
- ماتقلقش حضرتك، الكيانات هي اللي إتعاملت، وبعد بحث دقيق تم العثور على أجزاء منهم.

صمتَ اللواء طارق قليلًا يحاولُ أن يستوعبَ ما قالَهُ الرائد سامح، ثم ازدادت حدقة عينه اتساعًا وعلت منه ضحكات عالية شاركه فيها الرائد سامح، بينما الشخصينِ الآخرين تلمع عيونهما من الرعب المميت.

******

نعود مرةً أخرى لعمّ تواب الذي تتباطأ سرعةُ دقاتِ قلبهِ وهو يرى قطيعَ الكلابِ تلتهمُ وجبتها المسائية من نهش ثلاثة جثث لثلاث شبابٍ عراة، فخرجت منه أنة لم يستطِع أن يكتمَهَا بداخِلِه وكانت هي ذنبه الوحيد في تلك الليلةِ من المذبحة التي التفت على أثرها الكلب قائد القطيع ناحيته، فتعرف على شاهدهِ الوحيدِ على تلك الجريمة البشعة، كانت خطواتُه الثابتةُ في اتجاهِهِ ونظرةُ عينيهِ المفعمةِ بالشر وشلالُ اللعابِ المتساقطِ من بين أنيابه، كلُها إشاراتٍ واضحةً إلى أنه سوف يجعله يشاركُ في هذا العشاءِ كفريسةٍ رابعة.

حاولَ عم تواب أن يهرب، لكن قواه أصبحت أضعف وقلتْ سرعةُ دقاتِ قلبهِ أكثر وأصبح وجهُه يتساقط منه العرق وأنفاسه يعلو صوتها دون حاجز، يحاولُ أن يبتعدَ زاحفًا إلى الخلف بشكل عكسي والكلب يتقدم ناحيته وصوت زمجرته يتسابق مع أنفاسه الكريهة، حاول أن يقذفَ عليه ما يملكه، تارة طعامه وتارة غطاءَ رأسه حتي الكتبَ التي يستخدمُها كوسادة له، لكن ذلك لم يجعل الكلبَ يتنحى عن طريقِهِ إليه، لم يحتفظ إلا بالكتاب الذي يحتضنه طول الوقت، حتى أصبح الكلب على مسافة لا تزيد عن مترٍ واحد وعم تواب راقدٌ على الأرض، وإذ فجأةً وجد الكلبَ يقفزُ

عليه فلم يجد عم تواب إلا أن يضـــربه بكتابِهِ على فكِّه ضـربةً جعلتهُ يسـقط بجانبه والكتاب يفلت من يده ليقع بجانب قدم الكلب، حاول أن يزحف إلى الكتابِ حتى يســـتعيده، وما أن لمس أطرافَ غلافهِ حتى وجد أنيابًا تنغرسُ في عنقِهِ معلنةً وجود فتحةٍ لخروج الروح من هذا الجسد ويده ترتعش على غلاف الكتاب الذي تلوث بقطرات دماءه، غير أن عنوانه ظل ظاهرًا بشكلٍ كبير وهو

"ديوان شعر بالعامية"

للشاعر
تواب عبد الله
"الشاعر البوهيمي"

أنهى عازف البيانولا كلماتُه وأوقفَ دورانَ المقبضِ لتتوقفَ الموســـيقى عن ذبذباتِها، ويلتفتُ حولَه ليجدَ الشارعَ خاويًا من البشر، أبواب البنايات مغلقة، النوافذ مغلقة الكل في حالة سُباتٍ بعدما أشرق ضوءُ القمرِ عليهم وتركوا هذا الفنان وحيدًا يعزفُ معزوفتهُ ويروي حكايتَهُ وحيداً، وعندما استوعب ما حدث وهَمَّ في جمعِ أغراضِه تفاجأ بصوتٍ مرعبٍ قادمٍ من بعيد، صوتٌ يعرفُهُ جيدًا إنه... نباحُ كلبٍ كبير...

تمت بحمد الله

انتظروا العدد الثاني من سلسلة روايات "عازف البيانولا"
بعنوان
"الــدُوّار" (نَبيِ هذا العَصر)